إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ صدق الله العظيم

البعد السياسي والثقافي لحديث الولاية

من كنت مولاه فهذا علي مولاه

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

البعد السياسي والثقافي لحديث الولاية

إعداد
يحيى قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الطبعة الرابعة
١٤٤٠هـ/٢٠٢٠م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ.

والصلاة والسلام على رسول الله محمد، وسلام الله على من نجتمع في هذا اليوم بمناسبة إحياء ذكرى إعلان ولايته على الأمة كلها، الإمام أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) وصلى الله وسلم على أهل بيت رسول الله الذين نهجوا نهجه وساروا بسيرته فأصبحوا هُداة للأمة، ورضي الله عن شيعتهم الأخيار الذين آمنوا بمحبتهم ومودتهم وولايتهم واقتفوا آثارهم واهتدوا بهديهم من الأولين والآخرين.

أما بعد

ففي هذا الزمن نحتاج إلى أن نتفهَّم موضوع الولاية أكثر من أي وقت آخر، خصوصًا في ظل الوضع الراهن الذي يتسابق فيه معظم المسلمين - وفي مقدمتهم الأنظمة والحكام - يتسابقون في الانضواء تحت ولاية اليهود والنصارى بدلًا من ولاية الله وولاية رسوله وولاية الإمام علي(عليه السلام) التي هي امتداد لولاية الرسول(صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

فيهمنا في الوقت الذي يُريد لنا الآخرون أن يدفعوا بنا وبكل الوسائل إلى أن ندخل تحت راية اليهود والنصارى وننضوي تحت لواءهم، يهمنا أكثر من أي وقت مضى أن نبرز موقفنا، وأن نؤكد عليه، فموقفنا نابع من إيماننا، نحن مؤمنون، وعلى أساس إيماننا نتولَّى، على أساس إيماننا ننطلق في واقع حياتنا في مواقفنا كلها، إيماننا في قواعده الأساسية أن يبقى الولاء لله، وأن نؤمن بولايته علينا في كل شأننا وفي كل أمرنا، وولاية رسوله هي امتداد لولايته، وولاية الإمام علي(عليه السلام) هي امتداد لولاية الرسول(صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

ولذلك من المهم جدًا أن نعود إلى مناسبة الغدير بثقافتها تجاه مسألة الولاية، هذه المناسبة التي تدفعنا الاتجاه الصحيح ثقافة القرآن الكريم: أن نتولى الله، أن نتولى رسوله، أن نتولى الذين آمنوا.

وقد جمعت في هذه المادة جزءًا يسيرًا مما ورد عن الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه، ومما ورد عن السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي حفظه الله حول هذه المسألة المهمة سائلًا من الله الهداية والتوفيق والسداد.

❋❋❋

أهمية مناسبة يوم الولاية

ذكرى يوم الولاية (يوم الغدير) هي مناسبة عظيمة الشأن وبالغة الأهمية، والتي عندما نتأمل فيما يتعلق بها ويتصل بها من نصوص قرآنية، ونتأمل في ذلك البلاغ الذي أعلنه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في ذلك اليوم العظيم ندرك جيدًا أهمية هذه المناسبة، وعلاقتنا بهذه المناسبة من واقع انتمائنا الديني وهويتنا الإسلامية والإيمانية.

وشعبنا العزيز اعتاد على مر التاريخ وعبر الأجيال أن يحتفل بهذه المناسبة وليست مناسبة طارئة في واقعه، لا، بل هي مناسبة كان يحتفل بها أسلافنا وأجدادنا على مر التاريخ كشعب يمني بحكم هويته الإيمانية وأصالته في تمسكه بقيم الإسلام ومبادئ الإسلام، واستيعابه لمفاهيم عظيمة في هذا الإسلام العظيم.[1]

ولا شك بأن مناسبة يوم الولاية الذي نحييه كل عام هي مناسبة لها عمقها التاريخي والثقافي والعقائدي والسياسي بالشكل الذي يجعلها أهم مناسبة في حياة الأمة الإسلامية، وهي القضية التي تحتاجها الأمة في كل زمان ومكان، وتمثل الحل والمخرج لها في كل العصور، والمبدأ الذي على أساسه يبنى واقع الأمة الإسلامية بناء قرآنيًّا يجعلها أمة عظيمة قادرة على أداء مسؤوليتها التي كلفت

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة يوم الولاية لعام ١٤٣٩هـ

بها وجاهزة لمواجهة أعدائها بكل أنواعهم وأصنافهم بعيدة عن ظلم الظالمين وهيمنة المستكبرين وطغيان المتسلطين.

ولو أن الأمة عادت إلى مثل هذا اليوم وما قدم فيه الرسول (صلواتَ الله عليهِ وعلى آله) من بلاغ مبين ومن أسس مهمة في ولاية أمر الأمة لما ضلت وظُلِمت، ولما تمكن المفسدون والطامعون والظلمة والمستكبرون من الهيمنة عليها وإذلالها، ولكن تهاون الأمة ببلاغ الرسول في هذا اليوم جعلها أمة تعيش حالة رهيبة من الظلم والاستبداد وبالشكل الذي لم يحصل لأي أمة أخرى حتى ظهرت في الأخير أمة عاجزة عن أداء دورها في هداية البشرية مفارقة لخيريتها التي تؤهلها لتكون أمة جديرة بنشر المعروف في كل بقعة من بقاع العالم، وقادرة على إزالة المنكر من هذا الوجود.

ما الذي حدث في هذا اليوم التاريخي؟

يقول السيد حسين رضوان الله عليه في خطابه بهذه المناسبة:

في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة وبعد عودة الرسول (صلواتَ الله عليهِ وعلى آله) من حجة الوداع مع عشرات الآلاف من جموع المسلمين وقف في وادي (خُم) - وهي منطقة بين مكة والمدينة وهي أقرب ما تكون إلى مكة -بعد أن نزل عليه

قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٦٧].

بعد نزول هذه الآية، وفي وقت الظهيرة، في وقت حرارة الشمس، وحرارة (الرَّمْضَاء) أعلن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) لمن تقدم أن يعودوا، وانتظر في ذلك المكان حتى تكامل الجمع، وبعد ذلك رُصَّتْ له أقْتاب الإبل ليصْعَدَ عاليًا فوقها؛ لتراه تلك الأمة -إن كان ينفعها ذلك -لتراه، لتشاهده، وهي تعرفه بشخصه، لترى عليًّا ويد رسول الله رافعة ليده وهي تعرف شخص (علي)، ومن فوق تلك الأقتاب يعلن موضوعًا هامًّا، يعلن قضية هامة هي قضية ولاية أمر هذه الأمة من بعده (صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

عندما صعد وبعد أن رفع يد علي (عليه السلام) خطب خطبة عظيمة قال فيها: «يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وَالِ من وَالاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذُل من خَذَله».[1]

تسلسل هذا الحديث ينسجم انسجامًا كاملًا، الترتيبات التي أعلن فيها الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هذا الموضوع تنسجم

(١) من كلام السيد حسين رضوان الله عليه في خطابه: حديث الولاية ١٤٢٣هـ.

انسجامًا كاملًا مع لهجة تلك الآية الساخنة: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[المائدة:٦٧].

موضوع هام بالغ الأهمية، قضية خطيرة بالغة الخطورة، ورسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يعرف ويقدر كل موضوع حق قدْره، ويعطي كل قضية أهميتها اللائقة بها. يخاطب الناس: «يا أيها الناس إن الله مولاي» وهذه هي سنة الأنبياء، وخاصة مع تلك الأمم التي لا تسمع ولا تَعِي، فقد قال نبي من أنبياء الله من بني إسرائيل عندما سأله قومه أن يبعث لهم مَلِكًا يقاتلون معه وتحت رايته في سبيل الله، ماذا قال؟ ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[البقرة: من الآية ٢٤٧] وهاهنا بنفس الأداء: «إن الله مولاي» تساوي: ﴿إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾[البقرة: من الآية ٢٤٧]؛ ليقول للأمة: إني وأنا أبلغ عندما أقول لكم: «فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه» إنما أبلغ عن الله، ذلك أمر الله، ذلك قضاء الله، ذلك اختيار الله، ذلك فرض الله، وذلك إكمال الله لدينه، وذلك أيضًا مظهرٌ من مظاهر رحمة الله بعباده.

«إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم» هكذا من عند الله إلى عند رسوله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، ولاية

ممتدة، ولاية متدرِّجة لا ينفصل بعضها عن بعض.

ثم يقول: «فمن كنتُ مولاه» أليس كل مؤمن فينا يعتقد ويؤمن بأن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو مولاه؟ إن كل مسلم -وليس فقط الشيعة -كل مسلم يعتقد ويؤمن بأن رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) هو مولاه. ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[الأحزاب: ٦] إذًا «فمن كنتُ مولاه» أي مسلم، أي أمة، أي شخص، أي حزب، أي طائفة، أي فئة أي جنس من هؤلاء من هذه البشرية كلها يدين بولايتي، يدين أني أنا مولى المؤمنين «فهذا عليٌ مولاه» «اللهم وَال من وَالاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذُل من خَذَله».[حديث الولاية]

وهكذا قدمت هذه القضية المهمة للأمة بهذا الوضوح الذي لم تشهده أي قضية أخرى بدءًا بلهجة الآية ومرورًا بالترتيبات التي قدمها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) والتي تبين للأمة عظم مبدأ الولاية وخطورة الابتعاد عنه. ثم يختتم الله هذه المراسيم العظيمة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾[المائدة: ٢].(١)

(١) قال السيد مجد الدين المؤيدي رحمه الله في الجامعة المهمة: خبر الغدير متواتر، أخرجه محمد بن جرير الطبري من خمس وسبعين طريقاً، وأفرد له كتاباً سماه كتاب الولاية، وذكره ابن عقدة من مائة وخمس طرق، ذكر ذلك ابن حجر في فتح الباري.
وقال الذهبي: بهرتني طرقه فقطعت به، ورواه ابن حجر العسقلاني عن سبعة وعشرين

أهميةُ ما جاء في يوم الغدير

وعن أهمية هذه المناسبة يقول السيد عبد الملك رضوان الله عليه:

نفهم من هذه المناسبة بمضمونها وحدثها التاريخي أن يوم الثامن عشر من شهر ذي الحجّة شَهِدَ حدثًا تاريخيًا إسْلَاميًا عظيمًا ومهمًا وأساسيًا ذلك كان أثناءَ عودة النبي (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) من حجة الوداع، وحجّة الوداع هي كما أسماها النبيُّ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله)، ودَّعَ فيها أمته، وقال في خطبته الشهيرة وهو في الحج يخاطب أمته «ولعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، كما قال أيْضًا في خطبته في مناسبة الغدير: «إني أوشك أن أدعى فأجيب» فالنبيُّ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) كان يعيشُ في أدائه الرسالي بحركته في الأُمَّة في

صحابياً، ثم قال: غير الروايات المجملة، مثل: اثني عشر، ثلاثة عشر، جمع من الصحابة، ثلاثين رجلاً.

وقال ابن حجر في الصواعق: رواه ثلاثون من الصحابة، وفيه: «اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله».. إلى آخره. وعده السيوطي في الأحاديث المتواترة.

- وقال محمد بن إبراهيم الوزير: إن حديث الغدير يُروى بمائة وثلاث وخمسين طريقاً، وقال المقبلي في الأبحاث: إن كان هذا معلوماً وإلا فما في الدنيا معلوم. وقال أيضاً في الإتحاف: ومن أشهر ما في الباب خبر غدير خمّ، وقد عزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى أحمد بن حنبل، والحاكم، وابن أبي شيبة، والطبراني، وابن ماجة، وابن قانع، والترمذي، والنسائي، والمقدسي، وابن أبي عاصم، والشيرازي، وابن عقدة، وأبي نعيم، وابن حبان، والخطيب؛ ذلك من حديث ابن عباس، وبريدة، والبراء بن عازب، وعمر، وحبشي بن جنادة، وأبي الطفيل، وزيد بن أرقم، وجرير، وجندب الأنصاري، وسعد بن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وحذيفة بن أسيد، وأبي أيوب، ومالك بن الحويرث، وحبيب بن بديل، وقيس بن ثابت، وعلي بن أبي طالب، وابن عمر، وأبي هريرة، وطلحة، وأنس، وعمرو بن مرّة،... إلى آخره.

خطاباته وَاهتماماته وتوجُّهاته يعيشُ في وجدَانه الاستعدادَ للرحيلِ من هذه الحياة، وهو فيما يقدم للأمة وفيما يوجّه به الأُمَّة وفيما يتخاطبُ به مع الأُمَّة هو في المراحل النهائية لتمامِ الرسالة الإلهية في تبليغه (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) ونشاطه التبليغي في أوساط الأُمَّة، وكان يحسسُ الأُمَّة بهذا حينما يقولُ «**ولعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا**»، حين يقول «**إني أوشك أن أدعى فأجيب**» فأجيب الله وارحل إلى جواره ويستضيفني إلى رحمته، ويحسسُ الأُمَّة إنَّ ما سأقدِّمُهُ لكم وما أقولُه لكم هو في غاية الأهميَّة لما بعد رحيلي من هذه الحياة، لما بعد ارتقائي وعروجي إلى رحمة الله سُبْحَانَه وتَعَالَى، أي أن ما كان يقدمه في المرحلة الأخيرة والمحطة الأخيرة من محطاته الرسالية هو مهمٌّ جدًا لما بعد ولمستقبل الأُمَّة.

ولذلك الرسول (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) وَأثناء عودته من مكة من الحج وفي طريقه إلى المدينة وفي منطقة بالقُرب من (الجُحْفة) في منطقة في وادي غدير خم، في تلك المنطقة نزل عليه قولُ الله سُبْحَانَه وتَعَالَى ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾[المائدة:٦٧] نصٌّ مهم جدًا وساخن يدلل على أمر في غاية الأهميَّة لحيوية الرسالة بكلها، للحفاظ على الرسالة في مستقبلها، لإعطائها الواقع والدافع العملي والفعال في الحياة لاستمراريتها بالشكل الصحيح والنقي.

الآيـة المباركة لا تعني بأي حال من الأحوال أن النبي (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) كان يتردد في التبليغ نهائيًا، هو لا يخشـى في الله لومة لائم وهو معروف (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) بتفانيه في سبيل الله.

وهو أساسًا قد تجاوز مراحل صعبة جدًا في تبليغ الرسالة تناول أهم القضايا الحساسـة جدًا، بلغ التوحيد وواجه حالة الشـرك التي كانت ثقافة باطلة مترسـخة يتعصب لها المجتمع على أشـد حال من العصبية، وبلَّغ أمور الإسْـلَام جملـةً وتفصيلًا في كُلّ الاتجاهات، الجوانب العقائدية، والجوانب العملية، كذلك الموقف الإسْـلَامي الموقـف القرآني من كُلّ حالات الانْحرَاف السـائدة في واقع الحياة في الأرض، الموقف من الانْحرَافات السـائدة في أوسـاط الوثنيين، الانْحرَافات المنتشـرة في أوسـاط اليهود وفي أوساط النصارى وفي أوساط كُلّ حالات الانْحرَاف في الأرض، وقدم مشروعه الرسالي، مشروع الله سُبْحَانَه وتَعَالَى، دين الله الحق الذي يمثل الصراط المستقيم والتصحيح الفعلي والحقيقي والسوي لواقع البشرية، والذي يعالج كُلّ إشكالات البشر.

أيْضًا على مستوى الصراع الآية هذه في آخر حياته ما قبل وفاته قد تكون بأقل من ثلاثة أشهر في شهر ذي الحجة أواخر السنة العاشرة للهجرة، وهو توفي على اختلاف الروايات في السنة الحادية عشرة،

إما في شهر صفر أوْ في أول ربيع على حسب اختلاف الروايات.

على كُلٍّ في آخر حياته يأتي هذا النص، تُرى ما هو هذا الذي له كُلُّ هذه الأهميَّة وأهميته مرتبطة بحيوية الرسالة كلها بمستقبل الرسالة بكلها بفاعلية الرسالة في أثرها في الناس وأثرها في الحياة؛ لأن قوله ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧] يعني بأن هناك مسألةٌ مهمةٌ، بلاغُها وتمسُّكُ الأُمَّة بها يعطي حيويةً لكل رسالة الله، يعطي نجاحًا للمشروع الإلهي بكله، عدم تبليغها أوْ تبليغها وعدم تفاعل الأُمَّة معها له مردود سلبي يعود عكسيًا في إضعاف الدور الديني، الأثر النافع والمفيد لرسالة الله في واقع الحياة، الفاعلية لبقية تعاليم الإسْلَام.

أمرٌ كهذا له هذه الأهميَّة، عليه هذا التأكيد وأحيط بضمانة إلَهية لتمكينه من تبليغ هذا الأمر في وسط بات وسط الأُمَّة الإسْلَامية بات الوسطَ الذي سيبلغ فيه هذا البلاغ وسطًا إسْلَاميًا، الشرك انمحى آنذاك من الجزيرة العربية بكلها ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[المائدة:٦٧] كضمانة لتمكينه من التبليغ وإقامة الحُجَّة لله على عباده.

النبيُّ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) توقف على الفور وعمل على إعادة مَن قد تقدم من الجموع الغفيرة التي كانت معه في رحلته إلى الحج

واستقر حتى تلاحَقَ المتأخرون واجتمع الكل في منطقة غدير خم في خمٍ رصت أقتاب الإبل وكان الوقت في الظهيرة أثناءَ الحرارة الشديدة وفي جو مشمس وواضح، وجمع الجميع، واستقروا في ذلك الجو، في كُلّ ما يوحي بأهميَّة الموقف وأهميَّة ما سيقدم للأمة، إنه أمر استثنائي فاصل ومهم وليس مجرد أمر عادي وبسيط نهائيًا تحت حرارة الشمس في الصحراء في مكان مكشوف لا ظلالَ فيه إلا خمس شجرات (دَوَحَات) أزيل ما تحتهن ورصت أقتاب الإبل ليصعدَ من عليها الرسول (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله).

وهناك تقدم النبي (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) وَالجموع الغفيرة كلها تنظر إليه ترى ما هو هذا الذي قد نزل؟ ما هو هذا الأمر المهم الذي اقتضى سُرعة الإبلاغ على هذا النحو وإعطاء عملية الإبلاغ جوًا يوحي بالأهميَّة القصوى لما سيقدم؟ الكل انصتوا والكل سكتوا وجلسوا في تلك الحرارة الشديدة والكل ينظر باتجاه الرسول (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) الذي صعد على أقتاب الإبل ليراه الجميعُ بوضوح وأصعد معه علي بن أبي طالب عليه السلام فوق أقتاب الإبل وتحدث بخطبته الشهيرة التاريخية المهمة جدًا، وهي كذلك خطبة الوداع في واقع الحقيقة في واقع الأمر، وهو قال فيها: «إني أوشك أن أدعى فأجيب» يعني سنة الله معي هي سنته مع الأنبياء من قبلي، الكل رحلوا من هذه الحياة

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[الزمر:٣٠]، ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾[الأنبياء:٣٤]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤]، سنةُ الله معه وسنته مع من قبله من الأنبياء إلا أن هناك فارقًا كبيرًا جدًا في مسألة حسَّاسة للغاية، الأنبياء الآخرون السابقون ما قبله كانت يعقبُهم مراحلُ وفترات أنبياء يذهب نبي بعد فترة يأتي نبي آخر أَوْ رسول آخر وهكذا، أما النبي محمد (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) فهو خاتم النبيين ولا نبي بعده، وأمته آخر الأُمَم والبشرية من بعده ستعيش الحقبة الأخيرة على الأرض والمرحلة الأخيرة للبشر على الأرض والقيامة والساعة اقتربت.

ولذلك فليس هناك اعتبار أن نبيًا آخر سيأتي أَوْ أن هناك كتابًا غير القرآن سينزل في مرحلة من المراحل أَوْ أي شيء آخر، لا، الرسول (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) هو خاتم الرسل والأنبياء والقرآن الكريم خاتم الكتب الإلهية والمهيمن عليها، وَلكن هل سيترك النبي (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) ما بعده فراغًا تامًا خصوصًا والتاريخ البشري في مراحله الأخيرة لربما من أهم مراحل التاريخ، ولربما هو خلاصة عن كُلّ مراحل التاريخ بكل ما فيه من تطوُّرات مهمة ومتغيرات كبيرة وواقع جديد وأمور مهمة جدًا وتطور كبير في واقع البشرية وأحداث ساخنة ومتغيرات كثيرة... إلى آخره.

الرسولُ (صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وعلى آله) قَدَّمَ في خطابه في ساحة الغدير مسألتين مهمتين قال: «**وإني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا**» يعني إني حينما ألحَقُ بجوار الله لن أترككم عبثًا لن أترككم مهملين، لن أترككم بدون دليل ومعالم على الحق والهدى، لا، أنا تارك في أوساطكم ضمانة لأن تستمروا في طريق الهدى وفي طريق الحق وأن لا تتيه بكم وتتفرق بكم السبل المعوجة، وأن لا تتيهوا وتضلوا وتضيِّعوا (كتاب الله)، وحَثّ على كتاب الله ورغّب فيه وسمّاه الثقلَ الأكبرَ «**وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**».

واستمر في خطابه وأكد عليهم الإقرارَ لهم بتبليغ الرسالة وبكمال التبليغ وبإجابة الحُجَّة عليه، ثم أعلن إعلانًا مهمًا جدًا تاريخيًا استثنائيًا، وقال وقد أنصت الجميع، والكل مركِّز الجو كله يساعد حتى على أهميَّة التركيز وإعطاء المسألة أهميَّة، «**يا أيها الناس إن اللهَ مولاي وأنا مولى المؤمنين وأولى بهم من أنفسهم فمَن كنتُ مولاه، فهذا عليٌّ مولاه**» أخذ بيد علي عليه السلام ورفع يده أمام الجميع حتى يسمع الجميع ويشاهدوا وفي الروايات أنه رفع يده ويد علي عليه السلام حتى بان بياض إبطيهما، «**فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**».

كان هذا من أهم النصوص والنص الرئيسي والموضوع الرئيسي الذي هو فحوى ومضمون البلاغ الذي أكدت عليه الآية القرآنية المباركة: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[المائدة:٦٧] أن نأتي إلى هذا النص الذي كان في هذه المناسبة العزيزة والمهمة والذي كان له أهميَّة كبيرة جدًا بحكم الأهميَّة التي أعطته الآية ودلت عليه الآية المباركة ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾

لا خلافَ بين الأُمَّة في ثبوت (نص الغدير)

وهنا من المهم جدًا أن ندرك وأن نعي جيدًا وبعيدًا عن الجو المذهبي والحساسيات المذهبية والعصبيات المذهبية أن نأتي إلى الموضوع بكل شفافية وبكل موضوعية من خلال ما أعلنه الرسول وخصوصًا أن هذا النص متفق عليه ثابت بين الأُمَّة لا خلاف بين الأُمَّة في ثبوت مسألة الغدير ونص الغدير ورواية الغدير مع مستوى معيّن مثلًا فيما يتعلق بالنص «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» مسألة فيما يتعلق بالأمة ثابتة جدًا جدًا جدًا لا جدالَ فيها، إن كان هناك جدالٌ في الدلالات أوْ الاعتبارات الأُخْرَى هي مسألة أُخْرَى، يعني مسألةً ثانويةً، لكن النصّ كما هو الجو كما هو

من الثابت المقطوع به المتواتر كما في مصطلح أهلِ الحديث والعلماء المتواتر بين الأُمَّة فهو متواتر بين الأُمَّة متلقى بالقبول بين الأُمَّة مقطوع به بين الأُمَّة وثابت بلا شك ولا مرية.(١)

ما هو مدلول: (اليوم أكملت لكم دينكم)

يقول السيد عبد الملك حفظه الله:

هناك نص قرآني آخر، من المأثور عن رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) أنه أيضًا نزل في نفس اليوم، وله علاقة مباشرة وصلة تامة بذلك البلاغ، هو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾ [المائدة: من الآية ٣]، هذه الفقرة القرآنية، هذا النص القرآني العظيم أيضًا له دلالة مهمة جدًّا، ﴿الْيَوْمَ﴾، هجي تحكي عن مرحلة معينة، عن مناسبة واضحة، ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾، هذا النص القرآني يدل بكل وضوح على أن الله -سبحانه وتعالى- في ذلك اليوم، وبماذا؟ بمجرد يوم هكذا دخل، كان الإسلام عبارة عن مرحلة زمنية معينة يحتاج إلى يوم إضافي واكتمل؟. لا، اكتمال هذا الدين بشمولية ما تناوله من شؤون

(١) من كلام للسيد عبد الملك رضوان الله عليه في خطاب الولاية لعام ١٤٣٧هـ.

حياتنا كبشر، حياة الإنسان كإنسان، حياة المجتمع كمجتمع، كمال هذا الدين أن يكتمل فيما يشمله ويتناوله من كل ما له صلة بحياة هذا الإنسان، مما تتعلق به مسؤوليات هذا الإنسان، مما يترتب عليه فلاح هذا الإنسان أو خسرانه، هذا هو كمال الدين، كمال يتصل بواقع حياته، بشؤون حياته، بمسؤولياته، بمستقبله، وعندما نأتي إلى هذا يعني: أن الدين لم يترك شيئًا ذا أهمية من شؤون هذا الإنسان إلا وتناوله من كبير الأمور وصغيرها، كل شيء مهم من واقع هذا الإنسان، يحتاج فيه هذا الإنسان إلى هداية، يحتاج إلى توجيهات، إلى تعليمات من الله -سبحانه وتعالى- إلا وتناوله.

الربط بمصادر الهداية أعظم نعمة على البشرية

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾، وما أعظم نعمة الإسلام، ما أعظم نعمة الإسلام؛ لأنه دين الله، توجيهات الله وتشريعاته وتعليماته، التي أتت من منطلق رحمته، وهو أرحم الراحمين، من منطلق حكمته، وهو أحكم الحاكمين، من منطلق علمه، وهو المحيط بكل شيء علما، والعليم الخبير بمصلحة هذا الإنسان، وما يسعد هذا الإنسان، وما يصلح حياة هذا الإنسان، وهو الذي يريد الخير والسعادة والفلاح لهذا الإنسان، هو ربنا الرحيم بنا، الكريم، العظيم، العلي،

الحكيم، هو -جل شأنه- من لا يمكن لأي طرف ولا لأي جهة أن يقدم لنا في واقع حياتنا لا تعليمات، ولا تشريعات، ولا توجيهات أهدى، أو أرحم، أو أحكم، أو أنسب، أو أفضل، أو أرقى مما يأتينا من الله -سبحانه وتعالى- وهو ربنا الذي له حق الربوبية علينا، وعلينا حق العبودية له، نحن عبيده، يجب أن نكون في حياتنا هذه متجهين على أساس: توجيهاته، وتعليماته، وإرشاداته، وشرعه، وأمره، وحُكمه، وهذا هو أساس الدين أصلًا، الدين يمثِّل نعمةً عظيمةً من الله -سبحانه وتعالى- وهو ينقذ هذا الإنسان من الارتباط بالمصادر الأخرى، التي هي الطاغوت، الطاغوت الذي يستعبد هذا الإنسان ويستغل هذا الإنسان، والإنسان في واقع هذه الحياة إما أن يكون له علاقة وارتباط تام وتوجه على أساس دين الله وتعليماته وتوجيهاته، فيكون عبدًا لله، متجهًا على أساس هديه ونوره، ومرتبطًا بمصادر الهداية من الله -سبحانه وتعالى- وإما أن يكون في حالة أخرى هي ارتباط بمصادر أخرى تؤثِّر عليه، توجِّهه، تتحكم به، تستغله، تستعبده، لا فكاك للإنسان بين أن يكون في اتجاه من هذين الاتجاهين أبدًا أبدًا.

وعندما نأتي إلى هذا الإسلام العظيم بنبيه وقرآنه، فإن النعمة هي هذه النعمة، ارتباطنا بمصادر الهداية الإلهية: القرآن، كتاب الله، وحيه، كلماته، نوره، تعليماته، توجيهاته، كلماته التامة بالعدل والحق

والخير والرحمة والحقائق، ونبيه، رسوله، خاتم أنبيائه، محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) الذي هو أيضًا صلة بيننا وبين الله، تلقى هذا النور، وأتى بهذا الوحي، أتى بهذا الهدى، بلَّغ هذه الرسالة، ثم كان هو أول المسلمين، وأول المصدِّقين بهذا الحق، وأول وأعظم المتمسكين بهذا الهدى، وأعظم الخلق عبوديةً لله والتزامًا بنهج الله -سبحانه وتعالى- والقدوة والقائد الذي يتحرك بنا بناءً على أساس هذا الهدى، يربي على أساسه، يهدي على أساسه، يقيم واقع الحياة بناءً على أساس هذا النور وهذا الهدى.

مصادر الهداية: الرسل والأنبياء صلة تصلنا بالله -سبحانه وتعالى- صلة موثوقة، صلة سليمة، صلة صادقة، يصل من خلالها إلينا نور الله، هديه، تعليماته، نوره؛ فنزكوا بهذا الهدى، ونعتز بهذا الهدى، ونتخلص بهذا الهدى من كل أشكال الاستعباد والاستغلال من كل قوى الطاغوت وأدواتها المضلة.

ولذلك نحن نلحظ وضعية ما قبل الإسلام كيف هي، ما قبل مجيء رسول الله ومجيء القرآن كيف هو الوضع، كيف هي الحالة السائدة في واقع البشر، الحالة الخطيرة جدًا، الحالة الجاهلية: هي حالة انفصال عن مصادر الهداية، هذه حالة الجاهلية: حالة انفصال عن مصادر الهداية، ثم يخضع الإنسان في ظل هذه الحالة

مـن الانفصـال عن مصادر الهدايـة يخضع في توجهاتـه في الحياة، وانطلاقتـه فـي واقـع الحياة، لمـا يأتيه من قبـل آخرين، غيـر مصادر الهداية، قوى الطاغوت، القرآن يسمي الجهات الأخرى التي يرتبط بها الإنسان كبدائل عن مصادر الهداية، يسميها القرآن بالطاغوت.

ما ذا يعني الطاغوت؟ وما هو دوره الخطير؟

الطاغـوت: كل تلـك الكيانات، أو الأشـخاص، إمـا كيان، وإما شخص، وإما منهج يرتبط به الإنسان كبديل عن مصادر الهداية، ثم يتأثر به، يسـير فـي هذه الحياة على ضوء وعلى أسـاس ما يقدم إليه منه، تلك البدائل التي هي الطاغوت ارتبط بها البشـر، وارتبطت بها المجتمعات البشـرية، تأثرت بها، تلقـت منها: المفاهيم، التصورات، الأفـكار، وبنت علـى ذلك حياتها، بنت على أسـاس ذلك: الحياة، المواقـف، السـلوكيات، التصرفـات، التوجهات، ومـن خلال ذلك يستغل هذا الإنسان ويستعبد هذا الإنسان.

مع أن قوى الطاغوت وهي تسـعى إلى التأثير على هذا الإنسـان، التأثيـر عليه فـي تفكيره، في أفـكاره، في تصوراته، فـي عقائده، في المفاهيـم التـي ينطلق على أساسـها في هذه الحياة، فيـما يعمل، وفيما يتـرك، وفـي مواقفـه، وفـي ولاءاتـه، وفـي عداواته، وفـي مختلف

تصرفاته في هذه الحياة، أحيانًا حتى قد تتخاطب مع هذا الإنسان حتى باسم الدين، وقد تنطق عن الله افتراءً على الله وزورًا على الله، لكي تقنع هذا الإنسان؛ لأن قوى الطاغوت هي تدرك أن هذا الإنسان مفطورٌ من الأساس على التدين، على معرفة أو استشعار أن عليه أن يعبد الله، أن يطيع الله، أن يلتزم بأمر الله، على أن يعيش عبدًا لله، فتأتي قوى الطاغوت حتى في كثير، بل في أكثر الأحوال، وفي أكثر المجتمعات، وفي أكثر مراحل التاريخ، لتخدع هذا الإنسان، وتضل هذا الإنسان، وتستغل هذا الإنسان، وتقنع هذا الإنسان بعقائد وأفكار وتصورات معينة، ومفاهيم معينة يبني عليها أعماله واتجاهاته في الحياة، وتحسبها على الله -سبحانه وتعالى- وتعترف بالله.

المجتمع الجاهلي لم يكن منكرًا لله

المجتمع الجاهلي يتصور البعض أنه كان مجتمعًا ينكر وجود الله، هذه صورة منتشرة في ذهنية الكثير من الناس، ويتوقع عندما يسمع بالكافرين، عندما يتحدث القرآن الكريم عن الكافرين في المجتمع الجاهلي، عن المشركين في المجتمع الجاهلي، أنه كان مجتمعًا منكرًا لله من الأساس، يعني: مجتمعًا لا يعترف بوجود شيء اسمه الله. لا، المسألة ليست كذلك، إذا جئنا إلى ما يحدثنا به

القرآن عن المجتمع الجاهلي الكافر والمشرك، والمرتبط بالطاغوت، والجاحد للرسالة الإلهية، والمنكر للنبوة، والرافض تمامًا للرسول والقرآن، هذا المجتمع يقول الله عنه في القرآن الكريم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: من الآية ٨٧]، فهم معترفون بالله، ومعترفون بأنه الخالق، أكثر من ذلك ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [العنكبوت: من الآية ٦١]، هذا العالم بسماواته وأرضه من هو الخالق له؟ ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾، أكثر من ذلك ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣١-٣٢]، فهم كانوا يعترفون بالله أنه موجود، أنه الخالق، أنه الرازق، أنه مدبر شؤون السماوات والأرض، أنه من يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، أنه من يملك السمع والأبصار... هم يقرُّون بهذا كله، ويعترفون بهذا كله.

قوى الطاغوت وخداعها للناس

وفي نفس الوقت يحاولون أن يحسبوا بقية العقائد التي هي خروج عن هذا الإقرار، وتنكر لهذا الإقرار، يحاولون أن يحسبوها على الله -سبحانه وتعالى- يقول الله عنهم: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ

﴿شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: من الآية١٤٨]، يحاولون أن يحسبوا حتى عقيدة الشرك، وهي أسوء عقيدة وأفظع عقيدة يتنكر الإنسان فيها لأعظم مبدأ، وهو مبدأ التوحيد، حتى في هذه الحالة يحاولون أن يحسبوا هذه العقيدة على دين الله، وأن يشرعنوها ويحسبوها كعقيدة مقرة ومعتبرة في الدين الإلهي، يحاولون أن يخدعوا الناس بهذا، وإلا لو جئنا -مثلًا- إلى حكاية من أعجب الحكايات، من أغرب الحكايات في الواقع البشري، وهي: حكاية عبادة الأصنام الحجرية والخشبية، وأي أصنام مصنوعة من أي مواد أخرى، تلك الأصنام التي كانت تصنع من مادة معينة، من الحجار، نحتت من الصخور، أو من الأخشاب، أو من مواد أخرى، ثم إما تشترى، وإما تقدم هدية بعد إكمال عملية الصناعة لها، ثم تقدَّم على أنها آلهة، ويطلب من الناس أن يعبدوها وأن يعتبروها آلةً مع الله، وأن يجعلوها شريكًا لله في الملك، وشريكًا لله في الأمر، ويطلبون منها: النصر، والرزق، والخير، ووو...الخ. ويتقربون إليها بالعبادة بشكل صريح، وليس إلزاميًا.

هل كانت تلك الأصنام الحجرية في نفسها وفي ذاتها ذات جاذبية، ذات تأثير، تستطيع أن تصنع قناعة في الذهنية البشرية، في فكر الناس، في قلوبهم، وأن تجعلهم يعتقدون عقيدة أنها آلهة مع

الله؟ لا، كان هناك من يأتي من واقع البشـــر من يصنع عقيدة كهذه، هـو الصنم الحقيقـي الذي يصنع عقيدة كتلـك العقيدة، من يتمكن من خداع البشـر وتضليلهـم، من يصل به الحد في سـعيه لإقناعهم أن يقدم عقيدة كهذه، على أنها عقيدة أتت بمشـيئة الله وبإذنه، وأنها مـن الله، وأن الله يريد منكم هكذا، فينطـق عن الله بالزور، والافتراء على الله، والكذب على الله، ثم تأتي تبريرات كهذه ﴿لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَـنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: من الآية١٤٨].

ليـس على المسـتوى العقائـدي فحسـب، تأتي المسـألة أيضًا إلى بقيـة التفاصيـل، إلى الحـلال والحـرام، فتصنَّف أشـياء معينة على أنهـا حلال، وتصنَّف أشـياء معينة على أنها حـرام، هذا في المجتمع الجاهلي، في المجتمع الجاهلي نفسه، وأشياء مهمة هي من الحلال تحرم، وأشـياء محرمة -في واقع الحال- فـي دين الله يقدِّمونها في قائمة الحلال، كل هذا يحسب على من، وكيف يقدَّم للناس؟ وكيف تتمكـن قوى الطاغوت التي تضـل الناس، وتؤثر عليهم، وتحوِّل ما تقدِّمه لهم كالتزامات دينية يلتزمون بها تدينًا، وتصبح جزءًا أساسـيًا في التزامات الناس وممارسـاتهم الحياتية، وقناعاتهم التي يتشـبثون بهـا، ويتعصبون لها، ويغضبون من أجلها، بل ويقاتلون في كثيرٍ من

الأحيان من أجلها، ولذلك يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: الآية١١٦]، (لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ): يكذبون على الله، فيحرمون شيئًا ما، وعلى أساس أن يحسب هذا التحريم باسم أنه تحريم من الله، وفي شرع الله، وفي دين الله، وأشياء تقدَّم على أنها حلال، ويحسب هذا على ماذا؟ على دين الله، وباسم دين الله، وباسم شرع الله، يقال: [ذاك حلال، وذاك حرام]، يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلًا قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: الآية٥٩].

قوى الطاغوت تتخاطب مع الناس باسم الدين

فقوى الطاغوت كانت تتخاطب مع الناس حتى باسم الدين، وكانت تأتي إلى كثير من العقائد والأفكار والتصورات فترسخها في أذهان الناس، وتتحول إلى عقائد يعتقد بها الناس، ويتعصب لها الناس، وبناءً على أنها دين يمثِّل دين الله، محسوبة على الله -سبحانه وتعالى- وهي افتراء على الله -سبحانه وتعالى-.

ثم في الحلال والحرام كذلك: أشياء معينة يستحلها الناس، بناءً على أنها من حلال الله، وأشياء معينة يحرمها الناس، بناءً على أن الله

حرمها، والمسألة هناك وهناك، في العقائد وفيما قدم بصفة الحلال وبصفة الحرام افتراءات على الله، وادعاء كذب وبهتان على الله -سبحانه وتعالى- يقدم من جهات محترمة في أوساط الناس: زعامات، شخصيات تُقدم على أنها: أحبار، رهبان، كهنة... صفات معينة، وشخصيات وازنة في المجتمع، يتأثر بها الناس، ويتقبلون منها، ويتأثرون بها، وبما تقدمه إليهم محسوبًا على الله -سبحانه وتعالى-.

فالمسألة مسألة خطيرة جدًّا، حتى -مثلًا- في قصة المسجد الحرام وشعائر الحج، شعائر الحج كانت قائمة حتى في زمن المجتمع الجاهلي، في المجتمع الجاهلي شعائر الحج كانت قائمة، منذ العهد الإبراهيمي توارثت الأجيال الحج من بعد نبي الله إبراهيم (عليه السلام) ولكن اختلط في مشاعر الحج الكثير من الخرافات والمخالفات والعقائد، حتى أنهم أتوا إلى مكة، وحتى على سطح الكعبة بأصنام نصبت هناك، وشابت حتى الأعمال وشعائر الحج شوائب كثيرة جدًّا فيما يقولون، وفيما يعبِّرون، وفيما يتصرفون، مخالفة لدين الله، وحسبت على دين الله.

كان المشركون بأنفسهم هم المسيطرون على مكة، بما هم عليه من شرك وكفر، بكل ما لديهم من: خرافات، وعقائد، وتصورات، واختلالات، وتجاوزات، وشوائب دخلت في عملية الحج بكلها، يسيطرون ويقدمون ذلك كواحدة من الوسائل التي يخادعون بها

الناس، بل يقدمون أنفسهم أنهم من يعبِّرون هم عن الدين الإلهي، فتتجه إليهم أنظار القبائل العربية على أنهم هم يمثِّلون الرمزية الحقيقية لهذا الدين، ويتأثرون بهم، فيصدرون الكثير من العقائد الباطلة، والتصورات الخاطئة المحسوبة على دين الله -سبحانه وتعالى-.

في ظل ذلك الوضع السيئ جدًا، والمستمر إلى مرحلة متأخرة، مثلًا: منذ بعث رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرسالة الإلهية وحتى وفاته، على مدى عشرين عامًا من مبعثه بالرسالة وحركته بالرسالة، على مدى عشرين عامًا كانت لا تزال مكة تحت سيطرة المشركين، وكانوا هم الذين يديرون شعائر الحج، وكانوا هم من يسعون لتوظيف هذه السيطرة توظيفًا في عملية التضليل، وصنع قناعات باطلة، وتصدير عقائد محسوبة على الله وعلى دينه، وكذلك أحكام شرعية في الحلال والحرام وغير ذلك، لخداع المجتمع.

الانفصال عن مصادر الهداية ونتائجه السيئة

وإذًا نأتي إلى أن أكبر مشكلة كانت هي انفصال الناس عن مصادر الهداية الحقيقية، ثم عندما نأتي لتأمل تلك الوضعية السائدة، وضعية يسيطر فيها الطاغوت، ويتحكم فيها الطاغوت، ويوظف كل العناوين الدينية لمصلحته، ما كان منها باسم عقائد، وما كان

منها باسم تفاصيل عملية وحرام وحلال، وما كان منها باسم شعائر ومقدسات، تتحول هي كلها تحت التوظيف والاستغلال، كل هذا سنعود منه لنعرف أهمية قول الله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، سندرك من هنا، يمكن لكل العناوين أن تكون حاضرة، ما كان باسم عقائد دينية، وما كان باسم تفاصيل دينية، ويمكن لها كلها أن تدخل ضمنها الكثير من الشوائب، وتدخل فيها عملية الاستغلال، والتزييف، والتحريف، والخداع، والتضليل... إن لم تبقَ مرتبطة بمصادر الهداية.

إن المجتمع الجاهلي لم تغب عنه مسميات الدين، ولم تغب عنه مسألة ما يوصف بعقائد أو تدين، وما يوصف بحلال، وما يوصف بحرام، عناوين حاضرة في حياة الناس، وقائمة في واقع الناس، ولكن بتضليل كبير، وبخداع كثير، وباستغلال، وأصبحت كلها وسائل للسيطرة على هذا الإنسان، والاستغلال لهذا الإنسان.

ولذلك وصلت حالة المجتمعات البشرية إلى حالة مأساوية وفظيعة جدًّا، ظلمات رهيبة أصبح يعيشها المجتمع البشري، لا يرى الحق، يقدم له الباطل حقًا، يقدم له الحرام حلالًا، تقدم له عقائد في غاية الانحراف لتكون دينًا يتدين بها ويتقرب بها، وينتظر من ورائها كل الخير، وتحسب في كثيرٍ منها على من؟ تحسب زورًا

وافتراءً على الله -سبحانه وتعالى- وامتلأ الواقع البشري في ظل تلك الوضعية بالظلم والظلام والاستعباد والاستغلال، وهذا ما تحدث عنه القرآن الكريم كثيرًا وكثيرًا.

لله وحده حق التشريع

ولذلك فإن مسؤولية الهداية للعباد، وتقديم الدين الحق إليهم، وتقديم الطريقة الصحيحة لعبادة الله -سبحانه وتعالى- والبرنامج الفعلي الذي يعبِّر عن الله في هديه وتعليماته وتوجيهاته، هي مسألة ترتبط بالله -سبحانه وتعالى- ووفق الطريقة الإلهية هي التي تشكِّل إنقاذًا حقيقيًا للناس، ونورًا حقيقيًا للناس، الله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ [الليل: الآية١٢]، مسؤولية الهداية للبشر، وتقديم التعليمات الإلهية للبشر، وتقديم دين الله الحق، الذي هو دينه الفعلي وتعليماته الحقيقية، وإيصالها بشكلٍ صحيحٍ ونقيٍ إلى البشر، وطريقة إقامتها في واقع البشر.

هذه مسألة تعود إلى من؟ إلى الله -سبحانه وتعالى- وهو -جلَّ شأنه- من يمتلك الحق في أن يحدد للعباد الطريقة التي يوصل بها هذا الحق إليهم؛ حتى لا يكونوا ضحية لقوى الطاغوت التي تفتري الكذب على الله، التي تخدع الناس بهدف السيطرة عليهم، تفتري

على الله، وتقدم زورًا عقائد، أفكارًا، حلالًا، حرامًا، إلزامات عملية تستغل بها الناس لمآربها، لأهوائها، لما تريده هي، لتتمكن من السيطرة والنفوذ والاستغلال والتحكم بالبشر وبثروات البشر، ولتستعبد هؤلاء البشر.

الله يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، يقول -جلَّ شأنه-: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ [النحل: من الآية٩]، على الله هو، مسؤوليته هو، عندما يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، وعندما يقول: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، يعني أنها من مسؤولياته -سبحانه وتعالى- باعتباره هو ربنا، رب السماوات والأرض، وملكنا، ملك السماوات والأرض، وملك الناس، إليه هو أن يحدد للبشرية طريق الخير، طريق الفلاح، طريق العبادة له، الطريق الصحيح والمنهج الحقيقي الذي يرسمه للناس ليسيروا عليه، أن يحدد هو الصراط المستقيم، ومعالم هذا الصراط التي تقودنا إليه، والتي تسير بنا فيه، هذا إلى الله -سبحانه وتعالى- ليس متروكًا إلى الناس في أهوائهم، في اقتراحاتهم، في مزاجهم، ولذلك هو من يحدد لنا -سبحانه وتعالى- قناة الوصل به، من يوصلنا بالله، ويصلنا عبره هدى الله ونور الله، وليست مسألة متروكة للناس بأمزجتهم وأهوائهم وشهواتهم ورغباتهم، ومتروكة للاستغلال من قبل: المجرمين، وكيانات الطاغوت، والمضلين، وأصحاب الأهواء.

كيف يدل الله تعالى عباده على الصراط المستقيم؟

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾، يعني: هناك سبل كثيرة جائرة، ولكن الله سيتولى هو أن يرسم لعباده الطريق الصحيح والصراط المستقيم، ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ [يونس: من الآية٣٥]، فكيف يفعل الله -سبحانه وتعالى-؟ هل الله مثلًا يتخاطب بشكل مباشر مع عباده كلهم، ويسمعون نداءه بشكل مباشر، وتعليماته بشكل مباشر، أم هناك طريقة معينة؟ الطريقة التي سنَّها الله -سبحانه وتعالى- مع عباده، وهي سنة تتناسب مع ما فطرهم عليه في واقع الحياة، وفطر وصمم عليه حياتهم فيما اعتادوا عليه وألفوه، كمجتمع بشري حياته ذات طابع اجتماعي، وليست ذات طابع فردي، مجتمع نظمت حياته، بنيت حياته، حتى في طبيعة الخلق وتنظيم شؤون الحياة كمجتمع مترابط بعضه ببعض، حياة اجتماعية، مجتمع يحتاج إلى قيادة واحدة، إلى منهج واحد، في واقعه الفطري يتجه على هذا الأساس، إن اتجه على أساس دين الله، وإلَّا اتجه بعيدًا عن دين الله بما يضله، ولكن على هذا الأساس: (منهج، وقيادة).

الله -سبحانه وتعالى- قال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: من الآية٧٥]، الله -سبحانه وتعالى- الذي له: حق الهداية لعباده، حق التشريع لعباده، حق أن يرسم لعباده منهجًا لحياتهم

يسيرون عليه في هذه الحياة، ليصلوا إلى الغاية التي يريدها لهم، وتتحقق لهم كل النتائج المرجوة من استخلافهم في هذه الحياة، أو تقوم عليهم الحجة إن لم يلتزموا، الله هو من يمتلك هذا الحق، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: من الآية٥٤]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، سنته مع عباده أن يصطفي من الملائكة، وهم الملائكة، رسلًا، يختار لهذا الدور (لإيصال هداه) يختار خصيصًا من بين أوساط الملائكة من يختاره لهذا الدور، مع أن الملائكة بكلهم مخلوقات صالحة ومستقيمة، يعني: لا يوجد ملائكة سيئون وملائكة صالحون. لا، ولكن لم تكن المسألة إلى حد أن يقول: [أي واحد من الملائكة يمكن أن يقوم بهذا الدور]. لا، يختار اختيارًا من داخل الملائكة من يوكل إليه هذه المهمة وهذه الوظيفة، أن يوصل هديه عن طريق الوحي، إلى من يصطفيه للناس رسولًا، ليرسله إلى الناس، ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾، ومن أوساط المجتمع البشري.

في الواقع البشري كذلك المسألة في مسألة من يوكل الله إليه هذه المهمة، ومن يحمِّله هذه المسئولية، ومن يختاره لهذا الدور، ليست مسألة انتخابات مثلًا، أن يطلب من عباده أن ينتخبوا لهم رسولًا أو نبيًا، فلو تركت المسألة إلى الاختيار البشري لكانت خاطئة جدًّا، يعني: لو نأتي مثلًا إلى مجتمع مكة، في بداية حركة النبي (صلوات

الله عليه وعلى آله) كم لقي من التكذيب، الأغلبية في مكة كفروا به وكذبوه، بل قال الله عنهم: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾ [يس: من الآية٧]، الأغلبية خذلوا، الأغلبية جحدوا الحق، تنكروا للرسالة، كفروا بالرسول.

يعني: أنَّ الأغلبية كانت إلى جانب أبي جهل وأبي سفيان، ومكذبين بالرسول، ولو قيل لهم انتخبوا، لاتجهوا إلى انتخاب أبي جهل أو أبي سفيان، وكفروا برسول الله محمد (صلوات الله عليه وعلى آله) بل كانوا يقولون هم فيما بعد: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: من الآية٣١]، غير هذا الشخص، تأثرات الناس -أحيانًا- في بعض المجتمعات، تفكيرهم، ارتباطاتهم، نظرتهم خاضعة لتأثيرات معينة، لتقييمات معينة، لاعتبارات معينة، ينشدون إلى من يرونه صاحب سلطة وجاه وثروة ومال وقوة، وليس إلى من هو الأجدر بحساب القيم، والأخلاق، والمبادئ، والصلاحية الفعلية لحمل الرسالة الإلهية، هل صلاحية حمل الرسالة الإلهية هو مستوى ما تملكه من ثروة، كتاجر كبير، أو مستوى النفوذ والسلطة، كصاحب سلطة معينة، وسيطرة معينة على مجتمعك، أو وجاهة معينة بين المجتمع؟ |لا| لها اعتبارات أخرى، اعتبارات أخرى تلحظ حتى في الخلق، عندما يخلق الله إنسانًا، يخلقه ويعده

إعـدادًا ويهيئه تهيئة لهذه المهمة ولهـذا الدور العظيم، وليكون لائقًا بهذه المسئولية وفي مستوى هذه المسئولية العظيمة والمقدسة.

يقول عن نبيه موسى (عليه السلام): ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: الآية٤١]، هكـذا يقول الله له: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾، وهنا يقول: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾، (يَصْطَفِي): يصنع خصيصًا ويخلق خصيصًا لهذه المسئولية، يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: من الآية٦٨]، لماذا؟ لأن هذه مسئولية تعود إلى الله، ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾، هذه هي مسئوليته -سبحانه وتعالى- وهو -إنفاذًا لهذه المسئولية ورعاية لهذه المسئولية- يفعل ما هو إليه، ما هو مسئوليته، ما هو حقٌّ إليه، وليس من اختصاص الناس، هي مسئوليته كيف يوصل هديه إلى عباده.

ثم هل في هذه المسألة ما يوجب حساسية من الرسل والأنبياء؟ |لا| كل ما يمنح الله الرسل والأنبياء من مؤهلات عالية لحمل تلك المسئولية العظيمة هو يتجه إلى من، ولمصلحة من؟ للناس، ذلك الرسول وذلك النبي فيما يمتلكه من مؤهلات عالية، فيما هو عليه من: رحمة، وحكمة، وإرادة الخير، وسعة الصدر، وحرص عظيم على هداية الناس، ومحبة عظيمة لصلاحهم، وحكمة، وذكاء،

ووو... مؤهلات كثيرة جدًّا، وطهارة، وأمانة، وصدق، و... كل تلك المؤهلات عائدها لمن، مصلحتها لمن، خيرها لمن، فائدتها لمن، ثمرتها لمن؟ كلها للناس.

نجد-مثلًا- أن الله -سبحانه وتعالى- يخلق صفوة عباده، ويعدُّ خير عباده لتحمل مسئولية الرسالة والنبوة، ويوصل من خلالهم هديه ونوره إلى عباده، ليكونوا هم من يبلغون، ومن تنزل إليهم كتبه، ويوصلونها إلى العباد، ويكونون هم من واقعهم البشري مؤمنين، ملتزمين، معبِّدين أنفسهم لله، مطيعين لله... ويمثلون هم القدوة في الالتزام، والتطبيق، والعمل، وتعبيد أنفسهم لله، والقيادة للبشرية بالسير بها على أساس ذلك الهدى، وتربيتها على أساس ذلك النور، وتبصيرها بتلك البصائر، والعناية بها على ذلك الأساس، لما فيه خيرها وفلاحها.

قوى الطاغوت ومساعيها الشيطانية

منذ حقب تاريخية مبكرة، الإنسان- بشكلٍ عام- منذ بداية وجوده لم يتركه الله هملًا، بقيت مسيرة الهداية عبرَ الرسل والأنبياء وورثتهم الحقيقيون مستمرة وقائمة، وعلى مرِّ التاريخ كان هناك من يتصدى للرسل والأنبياء، من؟ قوى الطاغوت التي تسعى إلى

فصل الناس عن حلقة الوصل بهدى الله، عن مصادر الهداية.

قوى الطاغوت كان أهم ما تركِّز عليه دائمًا أن تفصل الناس عن مصادر الهداية، لماذا؟ لكي يبقى الناس مرتبطين بها وخاضعين لها ومتبعين لها، لكي تتمكن هي أن تكون الموجهة، والآمرة، والمؤثرة، والمستغلة، والمتحكمة بالناس، ثم تصيغ لهم من الأفكار والتصورات والعقائد، وتوجههم فيما يتناسب مع مصالحها، فيما يعزز نفوذها، فيما يعزز سيطرتها، فيما يمكِّنها أكثر، والمسألة كلها هي مسألة استغلال واستعباد، توظف لها عناوين، عقائد، تصورات، أفكارًا، وسنشرح حول هذه النقطة المزيد والمزيد إن شاء الله.

لاحظوا، تسعى قوى الطاغوت إلى التصدي للرسل والأنبياء، وإثارة كل الحساسيات في سعيها لفصل الناس عن مصادر الهداية، يسعون- في الصدارة- للتكذيب بالرسل والأنبياء، وفصل الناس عنهم، وإبعاد الناس عنهم، ويأتون لإثارة حساسيات يفترض أن تثار تجاههم هم، وليس تجاه الرسل والأنبياء، من أول ما أثاروه من الحساسيات والعقد لتكذيب الأنبياء وفصل الناس عنهم هي بشرية الأنبياء، كانوا يقولون: [هؤلاء ليسوا إلا بشرًا مثلنا، كيف يمكن أن يكون هذا البشر نبيًا، كيف يمكن أن نطيعه، أن نتبعه، وهو ليس إلا بشرًا مثلنا]، ويجعلون من هذه المسألة مبررًا للتكذيب والجحود.

ثم يريدون من الناس -في المقابل- أن يطيعوهم هم، وهم ليست المسألة متوقفة عندهم في أنهم بشر فحسب، إنما هم بشر قد فقدوا بشريتهم وإنسانيتهم، يأتي طغاة، مجرمون، ضالون، ظالمون، مفسدون، لا يمتلكون أي مؤهلات حتى إنسانية، يتحكمون بالمجتمع، يقدِّمون كل ما يمكن أن يعزز نفوذهم وسيطرتهم عليه، ثم يعملون على فصل هذا المجتمع عن مصادر الهداية الإلهية، [كيف تتبعون أولئك، ليسوا إلا بشرًا، اتركوهم...]، وهذا ما كانوا يركِّزون عليه، ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ * وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣-٣٤]، [كيف تطيعون بشرًا مثلكم؟! هذا لا يمكن أن يكون نبيًا، لا يمكن أن يكون مُتَبَعًا وأن يُطاع. |الا| هذا مجرد بشر، اتركوه، لا تسمعوا له، لا تستجيبوا له، لا تصدقوه].

كانوا يتحركون على هذا الأساس، كانوا يقولون: ﴿لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ [فصلت: من الآية١٤]، لو شاء لأنزل ملائكة، يكون النبي من الملائكة، ويأتي إلى واقعنا البشري فيتخاطب معنا باعتباره من الملائكة، ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾، يقولون: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ [الفرقان: من الآية٢١]، استكبار كبير جدًّا، ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلاَّ بِالحَقِّ وَمَا كَانُواْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾ [الحجر: الآية٨]،

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾[الفرقان: الآية٢٢].

وكما قلت هم يثيرون هذه الحساسية تجاه الأنبياء، مع أنها يفترض أن تثار ضدهم هم، هم ليسوا إلا بشرًا، ولكن بشر ضالون، مجرمون، تائهون، أما بشرية الأنبياء وكونهم من البشر، فهذا أمر مطلوب، أن يكون في واقعه كبشر؛ لأنه معني في تبليغ هذا الدين أن يكون هو من واقعه البشري يقدِّم النموذج، ويقدِّم القدوة، ويقدِّم القيادة في تطبيق هذا البرنامج الديني، يعني: لو أتى مثلًا مَلَك من الملائكة ليخاطب الناس: [اعملوا كذا، وافعلوا كذا، ولا تفعلوا كذا، والله أمركم بكذا، ونهاكم عن كذا...]، سيقولون له: [أنت من الملائكة، أنت ما تعرف واقعنا كبشر، نفسياتنا كبشر، الواقع الذي نعيشه في مشاعرنا ورغباتنا وشهواتنا كبشر، أنت استطعت أن تلتزم بهذا الدين؛ لأنك من الملائكة، ما عندك ما عندنا كبشر]، لكن عندما أتى النبي وهو بشر، ثم كان هو أول من يلتزم بدين الله، بتعليمات الله، بتوجيهات الله، ومن يمثِّل القدوة والأسوة في التطبيق والالتزام والعمل، كان ذلك أقرب أثرًا وأعظم حجةً في الواقع البشري، وحتى أكثر أنسًا في الواقع البشري، بل هذه نعمة على البشر أن يجعل منهم، في ما هي سنة من سنن الله -سبحانه

وتعالى- مع عباده، أيضًا نعمة من واقع البشر، أن يبعث فيهم رسولًا من أنفسهم، حتى في الانسجام، في الاطمئنان، في العلاقة في... أشياء كثيرة، واحدًا منهم، أولئك يثيرونها كحساسية، ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إبراهيم: من الآية١١].

يثيرون هذه الحساسية، عندما يفشلون في إثارة هذه الحساسية، يقولون: [لا بأس بشر، جيد يكون بشرًا لا مشكلة]، في الأخير [لكن لماذا لا يكون شخصًا آخر، لماذا يكون هو ذلك بذاته، بنفسه، لماذا ما يأتي الهدى هذا إلى الجميع مثلًا]، ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾ [ص: من الآية٨]، [لماذا لا يجي للزعيم الفلاني وهو كذلك، والشخصية الفلانية، وفلان الفلاني...]، حسد، يثيرون مسألة الحسد والعُقد غير المبررة، [ولماذا يختص الله ذلك أن يجعله رسولًا، لماذا؟ أبو سفيان، أبو جهل، أبو فلان، أبو علان، والزعيم الفلاني، والتاجر الفلاني، لماذا لا يكون الكل رسلًا وأنبياء؟]، ويقدِّمون الكثير من المقترحات ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ [المدثر: الآية٥٢]، كل واحد يشتي يصير عنده وحي وكتاب، وتنزل عليه الملائكة... وهذه العُقَد، ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾، ﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ﴾ [هود: من الآية١٢]، اقتراحات وأطروحات كثيرة يقدِّمونها.

كل ما في الأمر أنهم يسعون لفصل الناس عن مصادر الهداية، ليقدموا أنفسهم كبديل يتمكن -دائمًا- من التحكم بالناس، التحكم بهم في أفكارهم، في ثقافتهم، في عقائدهم، في تصرفاتهم، في سير حياتهم للاستغلال والاستعباد، هذا كل ما في الأمر، هذا كل ما يريده الطاغوت الذي يقدِّم نفسه بديلًا عن منهج الله -سبحانه وتعالى-.

وإذا قدَّم نفسه بديلًا، هو يستخدم العناوين الدينية، يمكنه أن يستخدم كل العناوين الدينية، عقائد باسم الدين، أعمالًا باسم الدين، شعائر للدين، حتى المساجد ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [التوبة: من الآية١٧]، ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [التوبة: من الآية١٩]، ولذلك نلحظ أن المسألة الرئيسية في سنة الله وهداية الله أنه -جلّ شأنه- هو من إليه أن يحدد مصادر الهداية التي نرتبط بها، باعتبارها مصادر للهداية، عبرها يصل إلينا الهدى بكل ثقة، بكل أمانة، بكل مصداقية، إذا فُصلنا عنها ضعنا، وتهنا، بل نستغل بشكل كبير جدًّا، ولو بقيت لنا عناوين الدين باسم الدين.

وهنا نعود إلى واقعنا الإسلامي، نعمة هذا الدين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، الدين الإسلامي اكتمل، في كل ما يتعلق به من:

تشـريعات، وتوجيهات، وعقائد، وتعليـمات، وفي كل ما نحتاج فيه إلـى: بصيرة، ووعي، وفهم، ومعارف ذات صلة مهمة بمسـؤولياتنا فـي الحيـاة، ديـن متكامـل، لـم يبـقَ علينـا إلا أن نتبع هـذا الدين، ونتمسك بهذا الدين؛ لنحصد ثمار هذا الإتباع في كل ما ارتبط به من وعـود إلهية: (البركات، الخيرات، رضـا الله، رحمته، فضله، كرمه، النصـر، العـزة، التمكين، الخير والسـعادة في الدنيـا وفي الآخرة)، مسـألة تبقى مرتبطة بماذا؟ بالتمسك، بالإتباع، بالالتزام بهذا الدين، وبالاستيعاب لهذا الدين.

مبدأ الولاية لاستمرار الاتصال بمصادر الهداية

كـمال هـذا الدين في ذلك اليوم كان من خـلال إعلان مبدأ عظيم يحفـظ لنا مـاذا؟ يحفظ لنا اسـتمرارية الاتصـال بمصـادر الهداية، هـذه النقطـة المهمة جدًّا، حتى لا نعود إلـى الوضعية التي كان عليها المجتمع العربي وغيره في زمن الجاهلية.

مبـدأ الولاية: الرسـول (صلـواتَ الله عليه وعلى آلـه) كان يتحدث في تلـك الفتـرة الأخيرة مـن حياته عـن قرب رحيلـه من هـذه الحياة، والرسـول كان هـو بنفسـه مصـدر هذه الهدايـة التي نرتبـط بالله من خلالهـا، التي يصلنا مـن خلالها وحي الله وهديه ونـوره، وكان هو

القائـم على تطبيق هذا الدين، والقائد الذي يسـير بالبشـرية في هذا الاتجاه، يتحدث عن قرب رحيله من هذه الحياة، وأنه سـيغادر هذه الحيـاة، ويقول: «إِنِّي أُوشِـكُ أَن أُدعَى فَأجيـب»، يقول لهم في حجـة الـوداع: «وَلَعَلِّي لَا أَلقَاكُم بَعدَ عَامِـي هَذَا»، وفعلًا أقلّ من ثلاثة أشهر بقي رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) وتوفي ورحل عن هذه الحياة.

فـإذًا، رسـول الله (صلـوات الله عليه وعلى آلـه) عندما بلَّـغ هذا البلاغ الذي يقول الله عنه: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، أتى ليقول للجميع، ولما الأمة معنيةٌ به عبر الأجيال إلى قيام السـاعة، ولما أكَّده تأكيدات متكررة من خلال قوله: «أَلَا هَل بَلَّغت، اللهم فَاشـهد»، من خلال قوله: «فَلْيُبَلِّغ الشَّاهدُ مِنكُم الغَائِبَ»، ليبقى هذا البلاغ للأمـة جيلًا بعـد جيل؛ لأنه يحفظ للأمة أهم مسـألة تعتبـر مصداقًا لقوله: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَـالَتَهُ﴾، أهم مسـألة يعبِّر عنها هذا المضمون القرآني، الارتباط بمصادر الهداية.

الرسول قال في بلاغه: «إِنَّ اللهَ مَولَايَ، وَأَنَا مَولَى المُؤمِنِين»، كيـف كانت ولاية رسـول الله فـي امتدادها لولايـة الله، ولاية هداية وقيادة، يقود البشـرية ويهديها على أسـاس ذلـك الهدى (صلوات الله عليـه وعلى آله) ثم يقـول: «فَمَن كُنتُ مَولَاه»، هكـذا بهذا التعبير الواضح، ويقصد تلك الولاية التي قال فيها عن نفسه: «وَأَنَا مَولَى

المُؤمِنِيـن، أَولَى بِهـم مِن أَنفُسِـهم، فَمَن كُنتُ مَـولَاه، فَهَذَا عَلِـيٌّ»، وهـو إلى جانبه، يمسـك بيده، موجودٌ بشـخصه واسـمه، ويقدِّمه أمام الجميع «فَهَذَا عَلِيٌّ مَولَاه».

هنا الرسـول (صلوات الله عليه وعلـى آله) وهو يتحدث حتى في ذلك الخطـاب عن قرب رحيلـه من هذه الحياة، لنعرف ما هي المناسـبة، بعـد مغادرة الرسـول (صلوات الله عليه وعلى آله وسـلم) لهذه الحياة، من هو الذي يمثِّل امتدادًا يوصلنا به، من هو الذي يعتبر -فعلًا- امتدادًا لمصدر الهداية ذلك، والأمة حتمًا سـتختلف، والأمة حتمًا سـيدخل فيها الكثير من أشكال الاستغلال والتلعّب حتى بالعناوين الدينية.

هنـا الرسـول (صلوات الله عليه وعلى آله) بأمـر من الله وبلاغًا عن الله -سـبحانه وتعالى- بلاغًا عن الله، حسـم المسـألة، ووضَّـح، وبيَّن، وقدَّم هذا البلاغ الذي له تلك الأهمية، بلاغ بمبدأ، إذا غاب أو عُطِّل فكأن هـذا الدين لا وجود لـه، إذا غاب هذا المبدأ أو عُطِّـل؛ تعطلت ثمرة هذا الإسـلام في مشـروعه التربوي والحضاري، وفي ثمرة تعليماته وتوجيهاتـه في الحياة، وتحولت تلك التعليمات وتلك العناوين إلى عناوين معطَّلة، تستغل وتوظَّف توظيفًا آخر، من قِبَلِ جهات أخرى، كما كانت توظَّف العناوين الدينية في الزمن الجاهلي لاستعباد الناس واستغلال الناس، ويُفترى على الله الكذب.

من النصوص النبوية في الإمام علي ومدلولها المهم

ولذلك نجد -مثلًا- فيما يتعلق بالإمام علي (عليه السلام) نصوصًا أخرى كثيرة ما قبل هذا البلاغ، يعتبر هذا البلاغ تتويجًا لها، نص يتحدث عن عَلِيٍّ (عليه السلام) يقول: «أَنتَ مِنِّي بَمَنزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي»، لا نبي، أنت ستؤدي هذا الدور ليس من موقع النبوة، ولكن من موقع الولاية، يقول: «عَلِيٌّ مَع القُرآن، وَالقُرآن مَع عَلِيّ»، يقول: «عَلِيٌّ مَع الحَق، وَالحَقُّ مَع عَلِيّ»، فأنت عندما تأتي لتبتعد عن عَلِيّ، لا تبتعد عنه إلا وأنت تبتعد عن القرآن، والمسافة التي فصلت بينك وبين عَلِيّ، عَلِيّ الذي يمثِّل نهجًا، يمثِّل هذا الدين في روحيته، وأخلاقه، وأعماله، وسلوكياته، ومواقفه، وحركته بهذا الدين في هذه الحياة، ودعوته بهذا الدين للبشرية، للناس فيما يقدِّمه إليهم، المسافة التي تفصلك عن عَلِيّ هي مسافة كانت فاصلة بينك وبين القرآن، وبينك وبين الحق.

الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يتحدث كثيرًا عن الإمام عَلِيّ (عليه السلام) حتى عن كماله ومؤهلاته الإيمانية، التي جعلته جديرًا بهذا الدور، وضمن الاختيار والإعداد الإلهي، حديث واسع وكثير، ونصوص كثيرة، «يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه، وَيُحِبُّهُ اللهُ

وَرَسُولُه»، يتحدث عنه فيقول: «وَهوَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤمِنٍ بَعدِي»، وكل هذه النصوص توارثتها الأمة في اتجاهاتها الثقافية واختلافاتها الفكرية، في مصادرها المعتبرة والمهمة، التي ترجع إليها، وتعترف بها، وتعتمد عليها، لتبقى حجة، لماذا؟ لأن الأمة إذا فارقت هذا المبدأ ستكون ضحية، ضحية للتضليل، ستفتح على نفسها كل النوافذ التي يطل منها كل ضال، وكل متجبر، وكل طاغية، ليقدِّم نفسه في موقع القيادة، وليقدِّم نفسه في موقع الهداية.

عندما تنفصل الأمة عن مصادر الهداية، فتحت المجال لكل أولئك من: الطواغيت، والجائرين، والمتسلقين، والظالمين، والمستكبرين، والمضلين، ليقدِّم كلٌ منهم نفسه في موقع القيادة، وليقدِّم الآخر نفسه في موقع الهداية، فذاك ينطق عن الله زورًا ويفتري عليه كذبًا، أو يخلط الحق بالباطل، على مثل ما كان عليه بنو إسرائيل لينفِّق باطله بما يرفقه معه من قليلٍ من الحق، والآخر ليُخضع الناس له، والكل لاستغلال الناس.

والذي حصل في واقع الأمة، عندما الكثير من الناس لم يَرُق لهم هذا المبدأ بكل ما له من جاذبيه، وبكل ما فيه من وضوح، وبكل ما يحققه من ضبط لمسار الأمة ومسيرتها في دينها، وحفاظ عليها وعلى دينها، وحفاظ على الامتداد لهذا الحق، ليبقى في أجيال الأمة يصلها جيلًا بعد جيل بشكلٍ مضمونٍ وموثوقٍ ونقيٍ وسليم،

فتحت المجال، فإذا بها تصيح من كثرة ما هناك من دخل، من كل ما هناك من كثير كثير كثير من الدخَلْ الثقافي والفكري، وليقول الجميع: [صحيح، أصبح لنا موروث إسلامي نختلف عليه]، نختلف على كثير مما فيه من العقائد أيُّها صحيح، والشرائع أيُّها صحيح، والأحكام أيُّها صحيح، هذا يقول: [هذا حلال]، الآخر يقول: [ذاك حلال، ذاك حرام]، ذاك قال: [|لا| هو حلال، ذاك واجب]، الآخر قال: [لا، هو لا يجوز]... وهكذا اختلاف كبير جدًّا، لم تعد مسيرة الأمة عندما تنفصل عن هذا المبدأ المهم، الضابط لمسيرتها، والحافظ لاستقامة هذه المسيرة، في عَلِيٍّ بكل ما يمثِّله عَلِيّ، وبكل ما سبق أن تحدث عنه الرسول به، وهي عبارات مهمة وذات مضمون واضح، لم تكن مجرد عبارات تشجيعية، أن رسول الله يريد أن يشجع الإمام عَلِيًا يقول: [إنه -ما شاء الله- رجال جيد «أَنتَ مِنِّي بَمَنزلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعدِي»] ليشجعه، أو ليقول: [«عَلِيٌّ مَع الحَق، وَالحَقُ مَع عَلِيّ»، ما شاء الله ما أعظمه!]؛ حتى يرتاح نفسيًا. |لا| هي ذات مضمون هادف، يحدد طبيعة الدور للإمام عَلِيّ (عليه السلام) بأنه سيمثل بعد رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) حلقة الوصل والامتداد الأصيل في موقع القيادة والهداية، ليس من موقع النبوة، ولكن من موقع الولاية.

حديث الثقلين وأهميته في الارتباط بمصادر الهداية

ثم نأتي أيضًا إلى نص آخر مهم جدًّا، وأتى في خطاب الغدير، وهو حديث الثقلين: «إِنِّي تَارِكٌ فَيكُم الثَّقَلَين، مَا إن تَمَسَّكتُم بِهما لَن تَضِلُّوا مِن بَعدِي أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ، وَعِترَتِي أَهلَ بَيتِي، إِنَّ اللطِيفَ الخَبِيرَ نَبَّأنِي أَنَّهُمَا لَن يَفتَرقَا حَتَّى يَردَا عَلَيَّ الحَوض»، ولتكون هذه النصوص وهذه الواقعة، التي هي مناسبة الغدير، واقعة الغدير، واقعة ثابتة وقطعية ومعترفًا بها بين الأمة، وليكون نص الثقلين أيضًا بلفظه ومضمونه العظيم المهم نصًا معترفًا به ومتواترًا بين الأمة.

فإذا بالمسيرة واضحة المعالم، المسيرة الإسلامية في امتدادها الصحيح، في مضمونها وحلقة وصلها الممتدة إلى رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) والمضمونة والموثوقة والمأمونة، واضحة، ومعالمها واضحة، والطريق واضح، الانصراف عنه انصراف إلى ماذا؟ انصراف إلى واقع كبير من حالة الفوضى.

الطغاة واستغلال العناوين الدينية

يأتي الكثير من الأدعياء من يقدِّمون أنفسهم باسم الدين وباسم الإسلام وباسم القرآن، وأتى الكثير والكثير من أولئك الطغاة، والجائرين، والظالمين، والمضلين، وإذا بهم يوظِّفون العناوين الدينية، ويستغلونها لصالحهم استغلالًا عجيبًا جدًّا، ألم يقدِّم بنو أمية أنفسهم باسم الإسلام؟! ألم يجعلوا طاعتهم والانقياد لهم والخضوع لظلمهم عملًا دينيًا وقربةً دينيةً ومسألةً إيمانية؟! ولم يكونوا يجهدون أنفسهم بأن يقولوا: [لا -مثلًا- نحن لسنا ظلمة، نحن نقيم العدل]. |لا| يقول لك: [ظالم صح، لكن أطع الظالم وإن قصم ظهرك وأخذ مالك]، أطع، فتُقدَّم الطاعة للظلم، والظالمين، والمستكبرين، والمضلين، والمفسدين في الأرض، الذين لهم برنامج آخر يقيمون الحياة على أساسه، تُقدَّم على أنها ضمن أمر الله -سبحانه وتعالى- أن الذي يلزم بها هو الدين نفسه، أليست هذه هي حالة استغلال للدين؟.

أليس النظام السعودي الظالم، المفسد، المنافق، الذي يرتكب أبشع الجرائم والمظالم والمفاسد، والذي هو بؤرة للضلال والباطل والفساد في الأرض، أليس يقدِّم اليوم نفسه بثوب الإسلام، وعناوين الإسلام، وباسم الإسلام؟! أوليس يستغل حتى مشاعر

الحج، وحتى سيطرته على مكة وعلى المسجد الحرام كمثل ما كان يفعل المشركون، الذين سيطروا على مكة وعلى المسجد الحرام وعلى شعائر الحج، وأداروها حتى على مدى عشرين عامًا من مبعث رسول الله بالرسالة، إلى ما قبل وفاته بثلاث سنوات؟! أوليست العناوين الدينية اليوم تستغل هنا وهنا وهنا، فئات كثيرة كما التكفيريون تمامًا، يستغلونها للإضلال للناس، للخداع للناس، للدفع للناس إلى مواقف، لتحريك الناس حيث يشاء ذاك الطاغية أو يريد، في الأخير توظَّف لمصلحة منافقين يعملون لصالح أمريكا وإسرائيل.

هنا ندرك معنى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، إنَ هذا المبدأ العظيم يشكِّل ضمانةً لاستقامة وانضباط مسيرة الإسلام الحق، فيطبَّق في واقع الحياة بشكلٍ صحيح، ويقدَّم في واقع الحياة بشكلٍ صحيح، وليس للاستغلالً ولا للاستعباد، وليس لتمكين ذلك الطاغية أو تلك الجهة الظالمة أو المفسدة لتتحول إلى عناوين للاستغلال والاستعباد، وليس ليكون بيد من هبَّ ودبَّ، ليجعل من مقامٍ معين، أو عنوانٍ معين، أو اسمٍ معين مقامًا للتضليل والافتراء علىً الله بالكذب، بمثل ما كان يحصل في العصر الجاهلي، يوم فصلت البشرية عن مصادر الهداية، فأتى الآخرون ليقولون: [قال الله، وأمر الله، وهذا دين الله، ومن يفعل كذلك أطاع الله]، وهم

يستغلون الناس تحت تلك العناوين، ويخادعونهم، ويؤثِّرون عليهم بذلك.[1]

نأتي إلى النص من البوابة القرآنية

عندما نأتي إلى الموضوع أيضًا من بوابته القرآنية هناك إلى جانب النص النبوي إلى جانب البلاغ الذي بلغه الرسول عن ربه بأمر ربه هناك أيضًا نص قرآني يتطابق كل التطابق مع هذا الإعلان، وأيضًا في سورة هي آخر السور القرآنية نزولًا وفي المرحلة الأخيرة من نزول القرآن ومن حياة النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) سورة [المائدة] ورد قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[المائدة:٥٥] نجد هنا أيضًا الكلام نفسه والبلاغ النبوي عن الله سبحانه وتعالى والنص القرآني كلاهما قدم عنوان الولاية ﴿وَلِيُّكُمُ﴾.

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة يوم الولاية لعام ١٤٣٩هـ بتصرف.

العصبيات المذهبية بلاء أصاب الأمة

والمسألة مسألة مهمة جدًّا ولربما البعض في الوسط الإسلامي أثرت عليهم العصبيات المذهبية التي هي داء فظيع، بلاء أصاب الأمة وبشكل رهيب وعَمَى، هي تُعمي الأعين، وتصم الآذان عن إدراك الحق، وعن فهم الحق، هي تصنع كثيرًا من الحواجز حتى أمام الواضحات والبديهيات.

النص القرآني مع البلاغ النبوي عن الله سبحانه وتعالى قدم مفهومًا وعنوانًا اسمه الولاية ﴿وَلِيُّكُمُ اللهُ﴾ «إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين» النص القرآني كل مسلم يقرأ القرآن هو يقرأه ﴿وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا النص المهم الذي يترتب عليه في النص الآخر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ترى مع الأهمية أن هناك جاذبية إلى مدلول ومضمون هذا النص.

الأمة فيما تعانيه من تحديات وأخطار، الأمة اليوم التي هي مغلوبة ومقهورة وتعاني من إذلال أعدائها لها وهيمنتهم عليها وتغلبهم عليها قدَّم لها في هذا النص مسارًا محددًا من الله، ليس هو قول إمام مذهب، ولا قول فقيه أو عالم، ولا قول منظر أو مفكر، ولا قول اجتهادي، هو نص صريح: ﴿مَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦].

يفترض بأمتنا المستضعفة المقهورة أن تكون متطلعة إلى ما فيه نصر وعزة وحرية

يفترض بنص كهذا في هذه الأهمية لأمة مقهورة معانية مستضعفة تكالبت عليها الأمم الأخرى: الأمريكان والصهاينة والإسرائيليون وغيرهم، كل أولئك الذين تكالبوا على الأمة فأذلوها وقهروها وتحكموا بها، وتدخلوا في كل شؤونها وفرضوا عليها إرادتهم وتوجهاتهم وسياساتهم، وما يريدونه، أمة كهذه يفترض أن تكون متطلعة إلى النصر إلى العزة إلى الغلبة؛ لتكون أمة غالبة متحررة.

نص مهم بكل ما للكلمة من معنى، مهم وفي نفس الوقت جذاب، الإنسان المستضعف المعاني المقهور يتطلع إلى كيف يتحرر كيف ينتصر، كيف يَغلِب، وكيف يعتز، نص جذاب ولكن تلحظ مع كل هذا أن هناك مِن الكثير في الوسط الإسلامي جفاء تجاه هذا النص، تجاه هذا المبدأ، تجاه هذا الموضوع، جفاء ووحشة يستوحشون ويتهربون من الجو كله، من العبارة بكلها، من العنوان بكله.

أصبح عنوان الولاية نتيجة للحساسيات المذهبية عنوانًا ينفر منه الكثير، يستوحش منه الكثير مع أن الله هو الذي قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[المائدة:٥٥] ثم عندما تأتي إلى هذا النص

ليس فيه ما يوحش، ليس فيه ما يدعو للتهرب، ليس فيه ما يقلق، ليس فيه ما ينفر، لكن داء العصبية أخطر داء بُليت به الأمم. ﴿وَلِيُّكُمُ اللهُ﴾هل هذه مشكلة؟ أنتم يا أيها الذين أنتم مؤمنون مسلمون تنتمون إلى الدين الإسلامي تعتبرون القرآن كتاب الله كتابكم، وتعتبرونه حجة عليكم ونهجكم، تعتبرون رسول الله محمدًا (صلوات الله عليه وعلى آله) نبيكم، تعتبرون أنفسكم ملزمين بما جاء به، برسالته، ومعتزين، ومفتخرين بذلك بحكم هذا الانتماء، بحكم هذا التدين، بحكم هذه الهوية، ﴿وَلِيُّكُمُ اللهُ﴾وليكم الذي يتولى شؤونكم، يتولى رعايتكم، يتولى هدايتكم.

هل تنفتح الأمة على أن تتأمل ما معنى ﴿وَلِيُّكُمُ﴾حتى تأتي إلى الخطوة المهمة جدًّا: التفاعل العملي مع مبدأ الولاية الذي يترتب عليه تغيير واقع الأمة بكله؟ من أمة مغلوبة إلى غالبة، من أمة مقهورة إلى قاهرة، أمة تنتصر على أعدائها ويتغير واقعها نحو الأفضل بشكل جذري.

ليس هناك انفتاح على المسألة! الوحشة هي نتيجة العصبيات المذهبية صنعت حاجزًا كبيرًا دون الالتفات إلى هذا المفهوم، ولو كان هناك التفات إليه لكان له تأثير كبير في واقع الأمة.

***

مفهوم التولي لله ورسوله والذين آمنوا

ولاية الله سبحانه وتعالى

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ﴾ ولاية الله سبحانه وتعالى هي ولاية الإله، ولاية الله الذي نعبده ولاية الألوهية كإله لنا، ولاية الربوبية كرب لنا نؤمن به نعبده نخضع له نطيعه نثق به نتوكل عليه نذعن لأمره نعتمد عليه نستهديه، ولاية هداية هو الهادي الذي يهدينا، يأمرنا يوجهنا يبصرنا يعلمنا يقدم لنا ويرسم لنا معالم الصراط المستقيم، وطريق الفوز والنجاح والفلاح والعزة والخير، يدلنا على كل الخير، على المصلحة، على الخلاص، على الحلول لمشاكل حياتنا، يرعانا في كل شأننا، ينصرنا في مواجهة أعدائنا.

فولاية الله ولاية الألوهية ولاية الربوبية ولاية الهداية ولاية المعونة وهكذا ولاية شاملة ولاية رب على المربوبين ولاية الإله على العبيد العابدين له الراجعين إليه، وهي ولاية الملك، هو ملك الناس، رب الناس وملك الناس وإله الناس، ولاية الملك الذي له الحق بالتصرف في مملكته في عباده، يأمر ينهى يشرع يقنن يفرض يحلل يحرم؛ لأن هذا العالم بكله مملكته، الناس والعباد مخلوقاته، وربٌّ ليس فضوليًا يريد أن يفرض نفسه على الجميع، وأن يتدخل في شؤونهم،

الجميع عباده وعبيده ومملوكاته ومخلوقاته، والجميع مربوبون له، هو الرب والإله والملك والمالك والخالق والرازق والمحيي والمميت والمبدئ والمعيد، إلى غير ذلك. وهذا هو جوهر الإسلام، جوهر رسالة الله سبحانه وتعالى إلى العباد.

وولاية الله ولاية رحمة يرحم عباده يتولاهم برعايته وحتى توجيهاته وحتى تعليماته من منطلق رحمته بهم فيما فيه الخير لهم يريد لهم العزة، يمنحهم حتى من عزته ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨] يمنحهم الحكمة، يريد لهم الكرامة، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء:٧٠] يريد لهم الخير، يريد لهم أن يكونوا أحرارًا.

وكل الأنبياء الذين أرسلهم كان من مهامهم الرئيسية تحرير الناس من العبودية للطواغيت، الإنسان هو بين حالة من حالتين: إما أن يكون عبدا لله أو عبدًا للطواغيت. ثم ولاية الله سبحانه وتعالى التي فيها كل هذا الارتباط الشامل، ترتبط بربك الله في كل واقع حياتك، في كل شأنك، في كل أمرك، في كل واقعك، في كل ظروفك، في مسير حياتك بكلها.

ولاية الرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله)

تأتي ولاية الرسول امتدادًا لولاية الله؛ ولهذا لم يقل: إنما وليكم الله ووليكم رسوله ووليكم الذين آمنوا، لا، عبارة واحدة ﴿وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة:٥٥] والرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله) ولايته من موقعه في الرسالة كرسول، ولي في رسالته: يبلغ رسالة الله، يربينا، يعلمنا، يهذبنا، ويزكينا، يقيم علينا حجة الله سبحانه وتعالى، له علينا حق الأمر والنهي؛ لأنه لا يأمر إلا بأمر الله، ولا ينهى إلا بنهي الله وله علينا أن نعظمه أن ندرك فيه عظمة الرسالة، عظمة قيم الرسالة، عظمة مبدأ الرسالة التي جسدها في واقعه، وفي حياته، وكان عظيمًا بها وعظيمًا بمكانته عند الله سبحانه، نجله نحبه شيء طبيعي أن تحب رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله) أن تحب كل تلك القيم التي كانت متجسدة فيه، ومتمثلة به، وفيه وفي حياته على أسمى ما يكون في واقع البشر.

الرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله) ولـيٌّ طاعته من طاعة الله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[النساء: ٨٠] لنا هذا الارتباط به معلمًا قائدًا هاديًا آمرًا موجهًا مربيًا مزكيًا، أسوةً قدوة وأن يتحقق هذا الارتباط حقيقة.

ولاية الذين آمنوا

ثم يأتي امتدادًا لولاية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) لأن منهج الله ممتد لا ينقطع فقط عند الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وانتهت مهمة الرسالة، مهمة الدين مهمة التعليمات الإلهية، وأعلنت نهايتها، ليست من المنتجات التي لها تاريخ انتهاء فول أو بزاليا أو ما شاكل ذلك، لا، هذه رسالة ممتدة إلى قيام الساعة، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥] واتفق المفسرون أن المقصود بهذه الأوصاف والمقدم بهذه المؤهلات الإيمانية هو الإمام علي (عليه السلام) في حادثة إعطائه وتصدقه بالخاتم في ركوعه التي كان لها دلالة مهمة ومعبرة جدًّا على كل الخطاب للمؤمنين، وأكيد أن هناك طرفًا آخر، المؤمنون مخاطبون بأن يتولوه بأن يدركوا ولايته أنها امتداد لولاية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) وإلا لو افترضنا أن المعني بها هؤلاء المؤمنون فمن المخاطب بتولي هؤلاء المؤمنين؟!

التولي ليس مجرد انتماء مذهبي بل هو ارتباط عملي وسلوكي

عندما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة:٥٦] فالتولي ليس مجرد انتماء مذهبي، ولا كلام يتكلم به الإنسان وانتهى الأمر، لا، التولي ارتباط عملي ارتباط سلوكي التزام مبدئي وأخلاقي هذا هو التولي. التولي سيرٌ في الطريق، التولي تحركٌ في الصراط المستقيم، التولي التزام بالرسالة الإلهية في مضامينها في مبادئها في قيمها في أخلاقها، هذا هو التولي. وهنا ندرك في هذا السياق أيضًا أن الإمام عليًّا عليه السلام دوره مهمٌ في الأمة لأن مرحلة ما بعد الرسول (صلواتُ الله عليه وعلى آله) بالتأكيد لا يمكن - وهذا هو الذي حدث بعد كل الأنبياء - إلا أن تكون مرحلة حساسة بكل ما تعنيه الكلمة وهذا حدث بعد كل الأنبياء والرسل السابقين.

وعادة مرحلة ما بعد النبي ما بعد الرسول تكون مرحلة حساسة جدًّا في كثير من تجارب البشرية، بعد الكثير من الأنبياء والرسل كان يحصل فيها اختلافات وتباينات واضطراب وتعدد في الاتجاهات في المفاهيم في النقل في غير ذلك الله هو يعلم أن واقع هذه الأمة بعد نبيها لن يكون مختلفًا عن سائر الأمم، هو حكى في (سورة البقرة) عندما قال: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ

﴿مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[البقرة:٢٥٣].

اختلاف الأمم عادة عندما يحدث فراغ كبير في واقعها ليس فقط بعد الأنبياء حتى بعد أي زعامة رئيسية مهمة جدًّا بَنَتْ أمة يحصل في الأمم اختلافات تباينات اتجاهات متعددة متنوعة ولكن للدين الإسلامي للرسالة الإلهية خصوصية ليست واقعًا عاديًا وليس هناك مشكلة فلتختلف عليه الأمة فلتتباين فيه الأمة فلتتناقش فيها الأمة فلتضطرب فيها الأمة، فلتضع جهود الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) التي بذلها بشكل كبير فليفرغ هذا الدين من مضامينه الرئيسية مبادئه القيمة، لا.

هناك حساسية كبيرة فكان لا بد من أن يكون هناك امتداد للنهج الإلهي وإن لم يكن في موقع النبوة ولذلك قال الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) كلمته الشهيرة المشهورة في الأمة الثابتة بين أوساط الأمة المروية من الجميع مِن فرق الأمة قال عن علي عليه السلام «علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» موقع هارون من موسى معروف، أي إنسان يسلم من العصبية سيدرك أنه الموقع الأول بعد موسى ليس هناك بين أصحاب موسى

بين جماعة موسى بين أمة موسى من له موقع هارون أبدًا استثنى النبيُّ النبوةَ «إلا أنه لا نبي بعدي» لكن يمتد دوره كوزير كوصي كمعلم كقائد امتدادًا أصيلًا نقيًا مضمونًا لرسالة الله سبحانه وتعالى، للإسلام، لتعاليم الإسلام، حاملًا لهذه الرسالة قيمًا وأخلاقًا ومبادئًا وسلوكًا وممارسةً وقيادةً، فكان الإمام علي (عليه السلام).

ما تحدث به النبي في علي لم يكن مجرد مدائح وإنما ليعزز له دورًا مستقبليًا في الأمة

لقد كان للإمام علي (عليه السلام) في واقعه المؤهلات البارزة والمميزة فلم يكن شخصية مغمورة أو مشكوكا في أهليتها في مثل هذا المقام ولمثل هذا الدور وهذه المهمة، بل كان (عليه السلام) متميزًا بوضوح في كل واقعه الإيماني منذ بداية مسيرة الإسلام له، واقع يختلف عن كل الآخرين من المؤمنين برسول الله، من تلاميذ رسول الله، من أصحاب رسول الله، من أنصار رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله)، متميزًا في إيمانه وفي وعيه وفي علمه وفي جهاده، متميزًا في كل واقعه، متميزًا بارتقائه البارز الواضح الملموس.

ثم حينما أتى النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ليتحدث عن الإمام علي عليه السلام لم تكن مجرد مدائح، أو عبارات تشجيعية، أو عبارات

تحفيزية، لا، إنما ليعزز له دورًا مستقبليًا في الأمة، لاعتبارات مهمة في مستقبل الأمة، وحساسة في مستقبل الأمة، فحينما كان الرسول يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي» «علي مع الحق والحق مع علي» ، «إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» من هو يا رسول الله؟ قال: هو ذاك، «هو خاصف النعل» وكان الإمام علي عليه السلام يخصف نعل رسول الله (صلواتُ الله عليه وعلى آله).

علي بن أبي طالب حينما كان النبي يتحدث عنه بهذه العبارات المهمة «بمنزلة هارون من موسى» يقول عنه إنه «يحب الله ورسوله ويحبهُ الله ورسوله» ليعزز له هذا الدور المستقبلي في واقع الأمة.

الأمة حينما تختلف تتنوع اتجاهاتها وأفكارها ونظرتها إلى الدين وتحدث التباينات والاختلافات، من هو الامتداد المضمون الأوثق السليم الأعلى الأرقى الأنقى؟ هو هذا، تريد الحق «علي مع الحق والحق مع علي» تريد الحق في أوساط الأمة حينما اختلفت وحينما تباينت وحينما تنوعت أفكارها وتوجهاتها «علي مع الحق والحق مع علي» حينما تختلف الأمة على القرآن في مفاهيمه في دلالاته في تفسيره في مضمونه العملي مَن؟ «علي مع القرآن والقرآن مع علي» حينما تختلف الأمة على القرآن على نبيها في

توجهاته في أفكاره في سيرته في سلوكه فمن يعبر عنه؟ أنت مني «يا علي أنت مني وأنا منك» يقول النبي (صلوات الله عليه وعلى آله): «علي مني وأنا منه» يعني هو امتدادي، هو الذي يعبر عني، عن أخلاقي، عن سلوكي، عن سيرتي، إذا اختلفت الأمة عني.

وهكذا ثبَّت النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) ببلاغ ربه بأمر ربه ثبَّت هذه الرؤية، هذا الدور المستقبلي للإمام علي عليه السلام رحمة بالأمة.

الإمام علي عليه السلام في واقعه في سيرته شخصية عظيمة ليس هناك أي تعب ليس هناك أي إشكالية بشأنه حتى يرى الإنسان أنه شخص لا ينبغي أن يقدَّم للأمة، لا، عد إلى سيرته، عد إلى ما قدمه، عد إلى ممارساته، إلى سياساته، إلى أخلاقه، إلى تصرفاته، إلى أدائه حتى في الظروف والتحديات والمشاكل الكبيرة كيف تعاطى معها بكل حكمة، كيف راعى فيها مصلحة الأمة، كيف كان يركز على خير الأمة، كيف سعى إلى ما فيه منفعة الأمة، كيف عانى بشكل رهيب جدًّا، وفعلًا لو نتخيل أن عليًّا لم يكن له هذا الدور، ولم يكن هناك هذا الدور من أساسه كيف ستعصف بالأمة الأحداث تلك الأحداث الكبيرة جدًّا لكانت أثرت بشكل رهيب جدًّا على رسالة الله سبحانه وتعالى.

بقدر ما تتفاعل الأمة مع مبدأ الولاية بقدر ما ستكسب وتنتفع

تبقى المسؤولية على الأمة، بقدر ماهي تتفاعل، بقدر ماهي تتحرك، بقدر ماهي تستجيب في واقعها العملي مع مبدأ الولاية، تتولى الله ورسوله والذين آمنوا - كما قال الله - بقدر ما ستكسب، تنتفع، تحصل على النتيجة التي أكد عليها القرآن كنتيجة حتمية: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾.

فالتولي هذا هو سير في خط الإسلام سيرٌ والتزام صحيح في المبادئ والقيم، في الأخلاق، في التعاليم.

وعلي عليه السلام حينما تعود إلى سيرته يُؤَمِّن لك الارتباط بالنبي (صلوات الله عليه وعلى آله) الارتباط بالقرآن الكريم، الامتداد السليم والنقي والمريح، والقدوة العظيمة جدًّا.

مبدأ الولاية يشكل الضمانة لحماية الأمة من أكبر عملية اختراق تعاني منها الأمة اليوم

اليوم نرى أن هناك كثيرًا من القيم الإيمانية، والقيم الإسلامية غائبة إلى حد كبير في أوساط الأمة، وغيابها نتج عنه فراغ كبير، مساحة كبيرة يستطيع العدو أن يتحرك فيها، يستطيع الصهيوني اليهودي يستطيع الأمريكي يستطيع أي ضال أو مفسد أو طاغية في العالم أن يجد أمامه بيئة مفتوحة.

الذي يحصن الأمة، ويبني الأمة، يحافظ على كيان الأمة كيانًا متماسكًا، كيانًا عظيمًا، كيانًا قويًا، هو تلك المنظومة من المبادئ والقيم والأخلاق، وفي مقدمتها وعلى رأسها المبادئ الحيوية المبادئ المهمة فمبدأ الولاية هو منظومة، هو ارتباط قيمي، ارتباط مبدئي، ارتباط أخلاقي، ارتباط منهجي، ارتباط عملي، التزام عملي يمسك الأمة من هذه البعثرة، من هذا التفكك، من هذا الضياع، من هذا الشتات.

اليوم هناك فراغ كبير في واقع الأمة، الملايين في الأمة ذهنياتهم فارغة، من يأتي يحشوها بأي حشو يريد، يأتي الأمريكي يحشوها، يأتي الإسرائيلي يحشوها، يأتي من هب ودب، كل يؤثر، كل يشتغل في هذه الساحة.

نحن طالما نتألم، نعبر عن أسفنا من هذا الواقع المرير في العالم الإسلامي، هذه الأمة التي يفترض أنها أمة النور، أمة القرآن، أمة الهدى، التي يفترض أن لديها من النور ما يحصنها من كل الظلمات، من الحق ما يحميها من تأثير الباطل، من القيم والأخلاق ما يجعل منها أمة عظيمة متميزة بتلك، هي اليوم بيئة مستهدفة مفتوحة وفيها فراغ كبير، قيم كبيرة غائبة أفسحت مجالًا للأعداء أتوا ليضعوا بدلًا عنها أباطيلهم، ليضعوا بدلًا منها سمومهم التي تدمر الأخلاق، تدمر القيم، تدمر حتى الفطرة الإنسانية.[1]

وهكذا قدمت هذه القضية المهمة للأمة بهذا الوضوح الذي لم تشهده أي قضية أخرى بدءًا بلهجة الآية ومرورًا بالترتيبات التي قدمها النبي (صلوات الله عليه وعلى آله) والتي تبين للأمة عظم هذه المسؤولية وخطورة التفريط فيها.

إحياؤنا لهذه المناسبة هو اقتداء بالرسول (صلى الله عليه وعلى آله)

يقول السيد حسين رضوان الله عليه في خطاب (الولاية لعام ١٤٢٢هـ):

فاجتماعنا في هذا اليوم وإحياؤنا لهذه المناسبة هو تجسيد واقتداء

(١) خطاب حديث الولاية ١٤٣٧هـ.

واتباع لاجتماع تاريخي قبل ألف وأربعمائة عام، اجتماع في حضرة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نعمل من خلال اجتماعاتنا هذه أن يبقى صدى صوت رسول الله ويبقى بلاغه قائمًا عبر الأجيال، يبقى ذلك البلاغ الذي أداه رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله) من فوق أقتاب الإبل والمؤمنون يسمعونه في حالة كهذه، تحت حرارة الشمس في غدير خم، في تلك البقعة التي قُدم فيها بلاغ له أهميته الكبيرة في الإسلام، حتى أن الله قال للرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة:٦٧].(١)

فاجتماعنا وحرصنا على أن يبقى صوت الرسول وبلاغه وكلماته النيرة التي حملت إلى أمته مضمونًا مهمًا وقاعدة هامة وأساسًا هامًا في الدين يترتب عليه مصير هذه الأمة، وهو موضوع الولاية.

إذًا مناسبة الغدير بثقافتها تجاه مسألة الولاية، هذه المناسبة التي تدفعنا إلى الاتجاه الصحيح، ثقافة القرآن الكريم أن نتولى الله، أن نتولى رسوله، أن نتولى الذين آمنوا هذا الاتجاه الصحيح الذي ينسجم مع انتمائنا للإسلام، ينسجم مع القرآن الكريم، ينسجم مع هويتنا الأساسية الذي فيه الخير لنا، فيه العزة لنا، فيه الكرامة لنا،

(١) من كلام السيد حسين رضوان الله عليه في خطاب الولاية لعام ١٤٢٢هـ.

فيه السعادة لنا، فيه عزتنا وقوتنا وخيرنا في الدنيا والآخرة: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[المائدة: الآية ٥٦].

إيماننا بمبدأ الولاية هو إيمان بكمال الدين

يقول السيد حسين رضوان الله عليه في (أمر الولاية):

إن من لا يعلنون ما أعلنه الرسول في هذا اليوم هم من يَصِمُون الله في حكمته، وفي عدله، وفي رحمته، هم من يضيفون النقص إلى الله.

كيف يجوز على الله سبحانه وتعالى، الذي سمى نفسه بالحكيم، العليم، العدل، الذي سمى نفسه بالرحمن الرحيم، أن يأتي لينظم شؤون كل أسرة، لينظم حتى المواريث، ثم لا ينظم شأن الأمة، ويترك الأمة دون أن ينظم أمرها؟!

هل يجوز على الله؟ هذا لا يجوز على الله، لكن الآخرين جوزوه على الله، ولما جوزوا على الله أن يكون أهمل شأن الأمة رأينا عشرات الخلفاء، والرؤساء، والزعماء الذين هم بعيدون عن الإسلام يتقافزون على حكم المسلمين، وعلى أكتاف المسلمين جيلًا بعد جيل.

هـل يجوز علـى الله أن يهمل أمـر الأمة؛ ليفسـح المجال لأولئك الذين لا يدينون بدينه، ولا يخشـونه، ولا يخشـون اليوم الآخر، هل يجوز على الله أن يترك شأن الأمة؟ لا يجوز.[1]

ويقول السيد عبد الملك رضوان الله عليه:

إيماننا بثقافة الولايـة، وإيماننا بمبدأ الولاية هو إيمان بكمال الدين، وأن الديـن ليس بناقص، من يجعلون أمر الدولة في الإسـلام قضية غائبـة، لم يحدد فيها الإسـلام منهجًـا ولم ترتبط بـالله هم يضيفون النقـص إلـى الله، يجعلون في دينه ثلمة ونقصًا خطيـرًا جدًّا، يترتب عليه ضياع شـؤون الناس، ويترتـب عليه ألا يقوم الدين، هذه بعض الأمور الهامة التي نستفيدها من هذه المناسبة التي هي مناسبة هامة.

فنحن عندما نعلن في هذه المناسبة تولينا لله ورسوله والذين آمنوا وفـي مقدمتهم علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهـذا ما يوجبه علينا ديننـا وما تتوقف عليه عزتنا وكرامتنا وقوتنا ونجاتنا وسـعادتنا. هذا هو المسار الذي سيربطنا بالله ورسوله هذا هو المسار الذي اختاره الله لنا وسمانا عندما نسير علي: حزبه الغالب.

(١) من كلام السيد حسين رضوان الله عليه في خطاب أمر الولاية.

البديل عن ولاية الله التي قدمت في يوم الغدير هو ولاية اليهود والنصارى

يقول السيد عبد الملك حفظه الله :

مناسبة الغدير بثقافتها تجاه مسألة الولاية، هذه المناسبة التي تدفعنا إلى الاتجاه الصحيح: أن نتولى الله، أن نتولى رسوله، أن نتولى الذين آمنوا ، هذا الاتجاه الصحيح الذي ينسجم مع انتمائنا للإسلام، ينسجم مع القرآن الكريم، ينسجم مع هويتنا الأساسية التي فيها الخير لنا، فيها العزة لنا، فيها الكرامة لنا، فيها السعادة لنا، فيها عزتنا وقوتنا وخيرنا في الدنيا والآخرة ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦] هذه الثمرة العظيمة التي تحصل ما الذي يقابلها؟ الذي يقابلها حسب المنطق القرآني هو التولي لليهود والنصارى، واتخاذهم أولياء، أن يكون ثمنه ذلة وهوان وضعف وعجز وشتات وفرقة وشقاء ونكد، في مقابل ذلك هذا الربح العظيم في تولي الله ورسوله، تولي الإمام علي (عليه السلام)، تولي هداة الله وأوليائه ورموزه لعباده، أن يكون الثمن هو القوة، هو النصر، هو الغلبة، أن تكون الأمة بدلًا من أن تكون أمة مغلوبة تكون أمة غالبة، بدلًا من أن تكون أمة مستضعفة تكون أمة قوية، بدلًا من أن تكون أمة مستذلة مهانة تكون أمة عزيزة

بعـزة الله، بعزة رسـوله، بعزة الإمام علي، بعزة الإيـمان، بعزة القرآن الكريـم، فهناك مسـاران وتوجهان متباينان لا بد للإنسـان أن يكون في أي منهما.

وبالتالـي الأمـة بيـن خيارين لا ثالـث لهما: إما أن تكـون في هذا الاتجاه الذي تقدمه ثقافة القرآن الكريم، تقدمه ثقافة الغدير، تقدمه ثقافـة الولاية، إما أن تكون في هذا الاتجاه تتولى الله وتؤمن بولايته عليك، وأن ولاية رسوله امتداد لولايته، وأن ولاية الإمام علي (عليه السلام) امتـداد لولاية الرسـول (صلوات الله عليه وعلى آله)، وأن ولاية أولياء الله والهداة لعباده امتداد لولاية الله سـبحانه وتعالى وفي إطار ولاية الله سـبحانه وتعالى، ولاية قائمة على الرحمة، ولاية تبني أمة على أسـاس الرحمـة والحكمة والعزة، تبني أمـة لتكون قوية، تبني أمة لتكون بمسـتوى مسـؤوليتها الكبرى في الأرض كأمة أخرجت للنـاس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، أمة لها مسـؤوليتها العالمية في إقامة الحق، في إقامة العدل، في مواجهة الظلم ولتكون بمستوى هذه المسـؤولية في عزتها، في قوتهـا، في حكمتها، في ارتقاء وزكاء نفوس أبنائها.

أو سـيكون البديـل هـم اليهـود والنصـارى والذلـة والخنـوع والعبوديـة والهوان كما هو حاصل في هذه المرحلة لأمة ابتعدت عن التولي الحقيقي لله ورسوله والذين آمنوا.

هـذان المسـاران المتباينان إما أن يكون الإنسـان في هـذا الاتجاه كمسـلم وهذا الشيء الطبيعي للإنسان كمسـلم، اتجاه أن نتولى الله ورسـوله والإمام علي (عليه السلام) ومن هم امتداد للإمام علي (عليه السلام) في إطار ولاية الله سـبحانه وتعالى، أو الاتجاه الآخر المباين لهذا الاتجاه؛ لأن الاتجاه الآخر اتجاه اتخاذ أمريكا وإسرائيل أولياء معناه: أن يكونوا هم من يتحكمون في شـؤون هذه الأمة، أن يكون ما هو سائد في واقع الناس، ما يُفرَض على الناس، ما يعمله الناس، مـا يتوجـه فيه الناس، مـا يُلزَم النـاس بالتوجـه إليه، ما يُلـزَم الناس بالتقبـل له هو ما تريده أمريكا لا مـا يريده الله، ما تريده أمريكا لا ما يأمر به الله، ما تقرره الإدارة الأمريكية لا ما يأمر الله به في كتابه.

فيأمر الله بأمر ويوجه توجيهًا معينًا ويكون هناك في المقابل إرادة أمريكيـة مناقضة لهذا التوجيه الإلهي، توجـه أمريكي، أمر أمريكي يعـارض هـذا التوجيه الإلهي، فهنـاك يُؤثَر ما تريـده أمريكا على ما يريده الله، فيكون المُتبع، يكون المُتقبَّل، يكون السائد، يكون ما يُدفَع إليـه النـاس، مـا يُؤمَر به النـاس، ما يُوجَّه إليـه الناس، مـا تُبنَى عليه حياتهم، ما تُبنَى عليه شؤونهم، ما تُدار به أمورهم سياسيًا، اقتصاديًا، ثقافيًا في كل أمورهم وشؤونهم ما تريده أمريكا وإسرائيل، ما تقرره أمريكا وإسـرائيل، ما تأمر به أمريكا وإسرائيل، لا ما أراده الله، لا ما أمر به الله، لا ما قرره الله.

يكون المُتبَع بدلًا من القرآن الكريم وتعليمات القرآن الكريم تعاليم الإدارة الأمريكية، وما يقدمه الأمريكيون الذين يزورون هذه الدولة العربية أو تلك الدولة العربية، يكون هَم الزعيم العربي أو الحاكم العربي أو النظام العربي أو الحكومة العربية المعينة أن تُمضِي على شعبها، أن توجه شعبها، أن تقرر في شؤون شعبها ما تريده الإدارة الأمريكية، وما الذي ستريده الإدارة الأمريكية؟ ما الذي ستقدمه أمريكا وإسرائيل لأمتنا ولشعوبنا كعدوة حاقدة لا تريد لنا أي خير، كفئة ليس لها إنسانية ولا ضمير ولا شرف ولا أخلاق ولا مبادئ، كفئة تعادي الله وتعادي البشرية وتعادي الإنسانية؟ هل يمكن أن يقدموا لنا ما فيه خير لنا؟ كل ما يقدمونه من خطط، كل ما يفرضونه علينا من رؤى، من ثقافات في أي شأن من شؤون حياتنا سياسيًا أو اقتصاديًا أو عسكريًا هو بما يضرب أمتنا.

هذه المناسبة العظيمة وما جرى فيها تقدم لنا الرؤية الصحيحة في ولاية الأمر

فهذه المناسبة العظيمة وما جرى فيها لها قيمتها الكبيرة؛ لأنها التي تقدم لنا الرؤية الصحيحة من ثقافة القرآن، موقف الإسلام تجاه مسألة الولاية، من نتولى وإلى أين يكون ولاؤنا؟ من يحكمنا،

مـن يتحكم في شـؤوننا؟ قائمة على الرحمة، قائمـة على الحكمة، قائمـة علـى العزة، قائمة علـى الخير، قائمة على السـعادة في الدنيا والآخـرة، يترتب عليها أن نكون أمة غالبـة، يكون الله معنا ينصرنا، يعزنـا، يؤيدنا، يكون بذلـك فلاحنا وخيرنا؟ أو الاتجاه الآخر الذي يوجد دفع للأمة فيه بشـكل غير مسـبوق، تجاهه بشكل لا نظير له، تُسخر من أجله كل الإمكانيات، إمكانيات الشعوب نفسها، ثرواتها المادية، إمكاناتها كلها تتجه فيه الحكومات العربية بكل ثقلها وبكل إمكاناتهـا، مـع أنها في نهاية المطاف هي سـتكون خاسـرة، الحكام العـرب، الزعماء العرب أنفسـهم فـي نهاية المطاف سيخسـرون كل شـيء؛ لأنه اتجاه يترتب عليه الخسـران ويترتب عليه الندم كما أكده القرآن الكريم.

وإننـا في هذا العصر، في هـذا الزمن، في هذه المرحلة نحتاج إلى أن نتفهـم موضوع الولاية أكثر من أي وقـت آخر، وبالذات في ظل الوضـع الراهـن الذي يتسـابق فيه معظم المسـلمين -فـي مقدمتهم الأنظمـة والحـكام -يتسـابقون فـي الانضـواء تحت ولايـة اليهود والنصارى بدلًا من ولاية الله وولاية رسوله وولاية الإمام علي (عليه السلام) التي هي امتداد لولاية الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

حاجة الأمة اليوم إلى ثقافة يوم الولاية

إن الأمة أحوج ما تكون إلى ثقافة صحيحة بكل ما تعنيه الكلمة، ثقافة (حديث الغدير)، ثقافة (حديث الولاية) «**أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله**». إن هذا الحديث مع تلك الآية القرآنية تعطي ثقافة كاملة لهذه الأمة تحصنها من الثقافة التي تُقَدَّم إليها لتكون قابلة لأن تُفرض عليها ولاية أمْرٍ يهودية.

ونحن في هذه المسيرة نتحرك بوعي وببصيرة عالية من هذا العمق الاستراتيجي، من هذا الانتماء، من هذا المبدأ، مبدأ الولاية لله سبحانه وتعالى، الإيمان بهذه الولاية وما هو امتداد لها، التحرك على أساس الوعي لهذه الولاية والتحرك في إطارها والانطلاق على أساسها، واثقين من أن النتيجة هي النتيجة التي ذكرها الله في القرآن الكريم ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ [المائدة:الآية٥٥-٥٦].

نؤمن بأن النتيجة هي هذه النتيجة ﴿**هُمُ الْغَالِبُونَ**﴾ هذا التوجه وهذا التحرك من خلال هذا المبدأ يوصل حتمًا ويقينًا إلى هذه

النتيجة، إلى أن نكون الأمة الغالبة في مواجهة هذه الأخطار، أن نخرج من واقعنا كأمة مستضعفة مستذلة مقهورة إلى أمة عزيزة، إلى أمة غالبة، إلى أمة منتصرة بإذن الله الواحد القهار، وحسب وعده الصادق الذي لا يتغير ولا يتبدل ولا يختلف أبدًا.[1]

يقول السيد حسين رضوان الله عليه في (حديث الولاية):

إن جهل الأمة في ماضيها بولاية الأمر، وأهمية ولاية الأمر هو الذي جعلها ضحية لسلاطين الجور، وإن الجهل الذي امتد من ذلك الزمن، وفي هذا الحاضر هو نفسه الذي سيجعلها ضحية لأن يملك تعيين ولاية أمرها وتثقيفها بمعاني ولاية الأمر فيها، وتعيين من يَلِي أمرها هم اليهود الصهاينة من الأمريكيين والإسرائيليين.

الأمة معنية أن تفهم ما الذي يمثله علي عليه السلام

يقول السيد عبد الملك حفظه الله:

الأمة معنية لتفهم من هو عَلِيّ، ماذا يعني: «أَنتَ مِنِّي بَمَنزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى»، ماذا يعني: «فَعَلِيٌّ مَولَاه»، «مَن كُنتُ مَولَاه، فَهَذَا عَلِيٌّ مَولَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَن وَالَاهُ، وَعَادِ مَن عَادَاهُ،

(١) من خطاب للسيد عبد الملك حفظه الله بمناسبة الولاية لعام ١٤٣١هـ.

وَانصُـر مَـن نَصَـرَه، وَاخذُل مَـن خَذَلَه»، مـاذا تعنـي كل تلك النصـوص، مـاذا تعنيه تلك الآيات، ماذا يعنيـه: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾؟ لأن هذا هو الكفيل بأن يحرر الأمة من جديد من كل قوى الطاغوت والضلال التي تسعى -دائمًا- لفصل الناس عن مصادر الهداية؛ لتسـتغل الناس هي، وتتحكم بالناس هي، وتسيطر علـى الناس هـي بالباطل، وتفتري على الله الكـذب، ثم يوظَّف لها كل شـيء في الدين لخدمتها، الزكاة مال لهم يأكلونه، الحج وسيلة للاسـتغلال، المسـاجد ومنابرها في كثيرٍ من الأقطار تتحول إلى بؤر لإضـلال الناس، والسـعي للتأثير علـى الناس في مـا يعبدهم لهم، وهكذا أشـياء كثيـرة جدًّا: مواقـف، ولاءات، قتـال... حتى عنوان الجهاد يحركه التكفيريون ويحرِّفونه عن مواضعه، ويتجهون بالناس إلـى ما فيه خدمة لذلك الطاغية، أو تلك الجهة، أو تلك الجهة، كل شـيء يحرَّف، لكـن بالارتباط بمصـادر الهداية تغلق تلـك النوافذ الكثيـرة التي فُتِّحَت من كل اتجاه، فأطلَّ منها الجائرون والطغاة من موقع القيادة، وأطلَّ منها علماء السوء والمضلون باسم الهداية، فذاك وذاك يغلقه هذا المبدأ العظيم.

كيف ننظر إلى ولاية الإمام علي عليه السلام؟

لننظر إلى مسألة الإمام عَلِيّ (عليه السلام) وولاية الإمام عَلِيّ (عليه السلام) من حيث ما كان عليه الإمام عَلِيّ (عليه السلام) من تمثُّلٍ لهذا الدين بشكلٍ تام، استيعاب، التزام، عمل، وعي، استقامة، روحية، خُلق، موقف، عمل، فالإمام عَلِيٌّ (عليه السلام) كان أرقى الأمة الإسلامية بكلها، وأعظم أصحاب رسول الله، وأعظم المسلمين، وأعظم تلاميذ رسول الله (صلوات الله عليه وعلى آله وسلم) حملًا واستيعابًا ووعيًا والتزامًا بهذا الدين، بهذا الإسلام، وتأثرًا بهذا الإسلام، حمله علمًا على نحو لم يحمله غيره، فكان باب مدينة العلم، حيث قال الرسول: «أَنَا مَدِينَةُ العِلمِ، وَعَلِيٌّ بَابُهَا»، وكان هو (الأذن الواعية)، وكان هو الذي لم يغمض جفنه حتى يعلم ما نزل على رسول الله في ذلك اليوم (صلوات الله عليه وعلى آله) ثم حمله التزامًا عمليًا في روحيته وأخلاقه، ما حاد عنه، ما فارقه، فلذلك قال رسول الله: «عَلِيٌّ مَع القُرآن، وَالقُرآن مَع عَلِيّ»، «عَلِيٌّ مَع الحَق، وَالحَقُ مَع عَلِيّ»، وكان هو الذي سيتحرك بالأمة حينما يتحرك بها بناءً على أساس ذلك الحق، لا يحيد عنه، ولا يزيغ عنه، لا هناك ولا هناك، ولا بذاك الاتجاه ولا بذاك الاتجاه.

الإمام علي منهج عملي وليس عنوانًا مذهبيًا!

ثم من يأتي ويقول: [أنا من شيعة علي بن أبي طالب، وأنا في هذا النهج الإسلامي الذي يوصلني عليٌّ فيه برسول الله، يوصلني فيه بالقرآن، يوصلني فيه بالحق]، ثم لا يكون متبعًا بمصداقية، لا يكونوا على بصيرة، على وعي، على التزام في مسيرة حياته، في مواقفه، في تحمله للمسؤولية، في الالتزامات العملية، هو بعيد، أنت لو قلت: [أنا مع علي]، وأنت تبتعد عن الحق، فأنت ابتعدت عن عَلِيٍّ بقدر ما ابتعدت عن الحق، عندما تقول: [أنا من شيعة علي]، ثم تبتعد عن القرآن، فالمسافة بينك وبين عَلِيٍّ هي بقدر المسافة التي ابتعدت بها عن القرآن، حين تبتعد عن تحمل المسؤولية، أنت ابتعدت عن عَلِيّ بتلك المسافة نفسها، فعَلِيٌّ والحق اقترنا، وعَلِيٌّ والقرآن اقترنا، وعَلِيٌّ يمثِّل نهجًا، وليس يمثِّل مجرد عنوان مذهبي، أو عناوين يدَّعيها الإنسان ويتباهى بها، ويدخل من خلالها في جدل مع هذا أو ذاك.

في النهاية تكون المسألة التزامًا عمليًا، استقامة على منهج الله، اتباعًا للقرآن، تمسكًا بالحق، منهجًا متكاملًا في مبادئه وأخلاقه وقيمه وسلوكه وروحيته، وهنا ترى نفسك تدخل في التولي الواعي للإمام علي (عليه السلام) ولرسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ليمتد بك ذلك إلى الدخول والانضواء تحت ولاية الله في الاتباع لهديه والتمسك بمنهجه.[1]

❋❋❋

(١) من خطاب السيد عبد الملك حفظه الله في يوم الولاية ١٤٣٩هـ

الشعر وتوثيق هذه المناسبة

شعراء وثقوا هذه المناسبة

ولأن الشعر يمثل ديوان العرب وأن أهم الأحداث توثق بالشعر فقد وثقت هذه المناسبة بشكل لم توثق به أي مناسبة أخرى أبدًا وتداول الشعراء هذه المناسبة في كل القرون حتى صارت محطة تاريخية مهمة جدًّا وعلامة فارقة في تاريخ الأمة فممن وثق هذه المناسبة من الشعراء الذين حضروا هذه المناسبة:

١ـ حسان بن ثابت

الشاعر حسان بن ثابت الذي ما إنْ تمت مراسيم التنصيب للإمام علي (عليه السلام) حتى قام منشدًا قائلًا:

يناديهِمُ يومَ الغديرِ نَبِيُّهُمْ ... بِخُمٍّ وأَسْمِعْ بالرسولِ مُنَادِيا

فقالَ: فَمَنْ مَوْلاكُمُ ونَبِيُّكُمْ؟ ... فَقَالُوا وَلَمْ يُبْدُوا هناكَ التَّعَامِيا

إلَهُكَ مولانا وأنتَ نبيُّنا ... ولم تَلْقَ مِنَّا في الولايةِ عَاصِيا

فقالَ لَهُ: قُمْ يَا عَلِيُّ؟ فَإِنَّني ... رَضِيتُكَ مِنْ بعدي إمامًا وهاديا

فَمَنْ كُنْتُ مولاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ ... فكونوا لَهُ أَتْبَاعَ صِدْقٍ مَوَالِيا

هناك دعا اللهمَّ؟ وَالِ وَلِيَّهُ ... وَكُنْ للذي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيا

وقد أقره النبي صلى الله عليه وآله على ما فهمه من مغزى كلامه، وقرظه بقوله: «**لا تزال يا حسان مؤيَّدًا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك**»[1].

ولم يكن حسان بن ثابت هو من قال شعرًا توثيقًا لهذه الحادثة بل عشرات الشعراء تحدثوا عبر القرون ووثّقوا بشعرهم ما جرى في مثل هذا اليوم من ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ـ قيس بن سعد

قيس بن سعد بن عبادة، سيد الخزرج الذي أنشد بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفين:

قُلْتَ لَمَّا بَغَى العَدُوُّ عَلَيْنَا ... حَسْبُنَا رَبُّنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ

حَسْبُنَا رَبُّنَا الذي فَتَحَ البَصْـ ... ـرَةَ بِالأَمْسِ والحديثُ طويلُ

ويقول فيها:

وعلِيٌّ إِمَامُنَا وَإِمَامٌ ... لِسِوَانَا أَتَى بِهِ التنزيلُ

يَوْمَ قَالَ النبيُّ: مَنْ كُنْتُ مَوْلا ... هُ فَهَذَا مَوْلَاهُ خَطْبٌ جَلِيلُ

إِنَّمَا قَالَهُ النبيُّ عَلَى الأُمَّـ ... ـةِ حَتْمٌ مَا فِيهِ قَالٌ وقِيلُ[2]

---

(١) الغدير ٢/ ٣٤.

(٢) الغدير للأميني.

٣ـ عمرو بن العاص

ومن الشعراء الذين حضروا وسمعوا حديث الولاية في يوم الغدير عمرو بن العاص والذي تحدث عن هذه المناسبة في قصيدة أرسلها لمعاوية لما طلب منه خراج مصر فأرسل إليه قصيدة طويلة سميت (بالجلجلية) منها هذه الأبيات:

وَكَمْ قَدْ سَمِعْنَا مِنَ المُصْطَفَى ... وَصَايا مُخَصَّصَةً فِي عَلِيّ؟
وفي يَوْمِ " خُمٍّ " رَقَى مِنْبَرًا ... يُبَلِّغُ والرَّكْبُ لَمْ يَرْحَلِ
وَفِي كَفِّهِ كَفُّهُ مُعْلِنًا ... ينادي بأمْرِ العزيزِ العلي
ألستُ بكمْ منكمُ في النفوسِ ... بِأَوْلَى؟ فقالوا: بلى فَافْعَلِ
فَأَنْحَلَهُ إِمْرَةَ المؤمنين ... مِنَ الله مُسْتَخْلِفِ المُنْحَلِ
وقالَ: فَمَنْ كُنْتُ مَوْلىً لَهُ ... فَهَذَا لَهُ اليومَ نِعْمَ الوَلي
فَوَالِ مُوَالِيهِ يَا ذَا الجَلالِ ... وَعَادِ مُعَادِي أَخِ المُرْسَلِ
وَلَا تَنْقُضُوا العَهْدَ مِنْ عِتْرَتِي ... فَقَاطِعُهُمْ بِيَ لَمْ يُوصَلِ
فَبَخْبَخَ شَيْخُكَ لَمَّا رَأَى ... عُرَا عِقْدِ حَيْدَرَ لَمْ تُحْلَلِ
فقالَ: وَلِيُّكُمُ فَاحْفَظُوه ... فَمَدْخَلُهُ فِيكُمُ مَدْخَلِي[1]

٤ـ السيد الحميري

ومن الشعراء الذين تحدثوا عن حديث الولاية في يوم الغدير الشاعر الحميري في قصيدة ألقاها بحضرة معاوية بن أبي سفيان قال فيها:

---

(١) الغدير للأميني.

بحقِّ محمدٍ قولوا بحقٍّ ... فإنَّ الإفكَ مِنْ شِيَمِ اللئامِ
أَبَعْدَ محمدٍ بِأَبِي وأُمي ... رسول الله ذي الشرفِ التهامي
أليس عليٌّ أفضلَ خَلْقِ رَبي ... وأشرفَ عندَ تحصيلِ الأنامِ؟!
ولايتُهُ هي الإيمانُ حَقًّا ... فَذَرْني مِنْ أباطيلِ الكلامِ
وطاعةُ رَبِّنا فيها وفيها ... شفاءٌ للقلوبِ مِن السقامِ
عليٌّ إمَامُنا بأبي وأمي ... أبو الحسنِ المطَهَّرُ مِنْ حرامِ
إمامُ هُدىً أتاهُ اللهُ عِلْمًا ... بِهِ عُرِفَ الحلالُ مِنَ الحَرامِ
وَلَوْ أَنّي قتلتُ النفسَ حُبًّا ... لَهُ ما كان فيها من أثامِ
يَحِلُّ النارَ قَوْمٌ أَبْغَضُوهُ ... وإنْ صَلّوا وصاموا ألفَ عامِ
وَلَا واللهِ لا تَزْكُو صَلَاةٌ ... بغيرِ ولايةِ العَدْلِ الإمامِ
أميرَ المؤمنينَ بِكَ اعتمادي ... وبِالغُرِّ الميامينِ اعتصامي
فهذا القولُ لي دينٌ وهذا ... إلى لُقْيَاكَ يا ربي كلامي
بَرِئْتُ مِنَ الذي عادى عَلِيًّا ... وَحَارَبَهُ مِنَ أولادِ الطَّغَامِ
تَنَاسَوْا نَصْبَهُ في يَوْمِ "خُمٍّ" ... مِنَ الباري ومِنْ خَيْرِ الأنامِ
بِرَغْمِ الأَنْفِ مَنْ يَشْنَأ كلامي ... عَلِيٌّ فَضْلُهُ كالبحرِ طامي
وَأَبْرَأُ مِنْ أُنَاسٍ أَخَّرُوهُ ... وكانَ هو المُقَدَّمُ بِالمَقَامِ
عَلِيٌّ هَزَّمَ الأبطالَ لَمَّا ... رَأَوْا فِي كَفِّهِ بَرْقَ الحُسَامِ(1)

---

(1) الغدير ٢/ ١٧٨، ١٧٧.

٥. أبو تمام الطائي (٢٣١هـ)

من شعراء القرن الثالث حيث قال في قصيدة طويلة قدرها ٧٣ بيتًا منها:

فعلتُمْ بأبناءِ النبيِّ ورهطِهِ ... أفاعيلَ أدناها الخيانةُ والغدرُ
وَمِنْ قَبْلِهِ أخلفْتُمُ لوصيِّهِ ... بداهيةٍ دهياءَ ليسَ لها قَدْرُ
فجئتُمْ بها بكرًا عَوَانًا ولم يكنْ ... لها قبلها مثل عوان ولا بكرُ
أخوه إذا عدَّ الفخار وصهرُهُ ... فلا مثله أخٌ ولا مثله صهرُ
وشدَّ به أزر النبيِّ محمدٍ ... كما شدّ من موسى بهارونِهِ الأَزْرُ
وما زالَ كشَّافًا دياجيرَ غَمْرَةٍ ... يمزِّقُها عن وجهِه الفتحُ والنصرُ
هو السيفُ سيفُ الله في كلِّ مشهدٍ ... وسيفُ الرسولِ لا ددان ولا دثرُ
فأيّ يدٍ للذمِّ لم يبرزندها ... ووجه ضلالٍ ليس فيه له أثرُ
ثوى ولأهل الدين أمنٌ بحدِّهِ ... وللواصمين الدين في حده ذعرُ
يُسَد به الثغر المخوف من الردى ... ويعتاض من أرض العدو به الثغرُ
بأحدٍ وبدرٍ حين ماجَ برجلِهِ ... وفُرْسَانِهِ أُحْدٌ وماجَ بهمْ بَدْرُ
ويومَ حنينٍ والنضيروخيبرٍ ... وبالخندق الشاوي بعقوته عمرو
سما للمنايا الحمرِ حَتَّى تَكَشَّفَتْ ... وأسيافُهُ حُمْرٌ وأرماحُهُ حُمْرُ
مشاهدُ كانَ اللهُ كاشفَ كَرْبِها ... وفارجَهُ والأمرُ ملتبسٌ أمرُ
و"يومَ الغديرِ" استوضحَ الحقّ أهله ... بضحياء[1] لا فيها حجابٌ ولا سترُ
أقامَ رسولُ الله يدعوهمُ بها ... ليقربهم عرْفٌ وينآهم نكرُ

(١) وفي نسخة: بفيحاء.

يـمـدُّ بـضـبـعـيـهِ ويـعـلـمُ[1]: أنَّـهُ وَليٌّ ومـولاكـمْ فـهـل لـكـمُ خـبرُ؟!

يـروح ويـغـدو بـالـبـيـانِ لمعشرٍ يـروحُ بهمْ غمرٌ ويـغـدو بهمْ غمرُ

فـكـان لـهـم جـهـرٌ بـإثـبـاتِ حَـقِّـهِ وكـان لـهـم في بـزِّهِـمْ حـقَّـهُ جهرُ

أثـمَّ جعلْتُمْ حَـظَّـهُ حَـدَّ مُـرْهَـفٍ من البيضِ يـومًا حـظّ صاحبه القبرُ

بكفـي شـقـيٍّ وجـهـتْهُ ذنـوبُـهُ إلى مـرتعٍ يرعـى بـه الغـيُّ والوزرُ[2]

٦ـ أبو فراس الحمداني

ومن الشعراء المعروفين والمشهورين الشاعر الكبير الأمير أبو الفراس الحمداني من شعراء القرن الرابع المولود ٣٢١هـ ــ المتوفى ٣٥٧هـ.

في قصيدة طويلة يمدح فيها أهل البيت ويذم أعداءهم من بني العباس قال فيها حول الغدير [3]:

قـام الـنـبيُّ بها (يـومَ الـغـديرِ) لهمْ واللهُ يـشـهـدُ والأمـلاكُ والأمـمُ

حتى إذا أصبحتْ في غـيرِ صاحبِها بـاتـتْ تـنـازعُـها الـذؤبـان والـرخـمُ

وصـيَّروا أمـرَهُـمْ شـورى كَـأَنَّـهُـمُ لا يـعـرفـون ولاةَ الـحـقِّ أيُّـهُـمُ

تـالله مـا جَـهِـلَ الأقـوامُ موضعَها لكنَّهُمْ سـتروا وجـهَ الـذي عَلِمُوا

(١) مـن أفعـل. ويظهر من الدكتور ملحم شـارح ديوان أبي تمام أنه قـرأه مجردًا من (علم) لا مزيدًا من (أعلم) كما قرأناه ومختارنا هو الصحيح الذي لا يعدوه الذوق العربي.
(٢) الغدير للأميني ٢/ ٣٣٠، ٧/ ١٢٧.
(٣) الغدير للأميني ٣/ ٣٩٩.

ونكتفي بهؤلاء الشعراء كنموذج فقط وإلا فهناك عشرات الشعراء وثقوا في شعرهم هذا اليوم وما جرىٰ فيه من تنصيب للإمام علي (عليه السلام) من قِبَلِ الله ورسوله.

اللهم إنا نتولاك ونتولىٰ رسولك ونتولىٰ أمير المؤمنين علي ونتولىٰ من أمرتنا بتوليهم من أهل بيت نبيك.

اللهم إنا نبرأ إليك من أعدائك ومن أعداء رسولك ومن أعداء الإمام علي ومن أعداء أهل بيت نبيك فتقبل منا يا أرحم الراحمين.

***

المحتويات

مقدمة ٣
أهمية مناسبة يوم الولاية ٥
ما الذي حدث في هذا اليوم التاريخي؟ ٦
أهمية ما جاء في يوم الغدير ١٠
لا خلاف بين الأمة في ثبوت (نص الغدير) ١٧
ما هو مدلول: (اليوم أكملت لكم دينكم) ١٨
الربط بمصادر الهداية أعظم نعمة على البشرية ١٩
ما ذا يعني الطاغوت؟ وما هو دوره الخطير؟ ٢٢
المجتمع الجاهلي لم يكن منكرًا لله ٢٣
قوى الطاغوت وخداعها للناس ٢٤
قوى الطاغوت تتخاطب مع الناس باسم الدين ٢٧
الانفصال عن مصادر الهداية ونتائجه السيئة ٢٩
لله وحده حق التشريع ٣١
كيف يدل الله تعالى عباده على الصراط المستقيم؟ ٣٣
قوى الطاغوت ومساعيها الشيطانية ٣٧
مبدأ الولاية لاستمرار الاتصال بمصادر الهداية ٤٣
من النصوص النبوية في الإمام علي ومدلولها المهم ٤٦
حديث الثقلين وأهميته في الارتباط بمصادر الهداية ٤٩
الطغاة واستغلال العناوين الدينية ٥٠
نأتي إلى النص من البوابة القرآنية ٥٢
العصبيات المذهبية بلاء أصاب الأمة ٥٣
يفترض بأمتنا المستضعفة المقهورة أن تكون متطلعة إلى ما فيه نصر وعزة وحرية ٥٤
مفهوم التولي لله ورسوله والذين آمنوا ٥٦
ولاية الله سبحانه وتعالى ٥٦
ولاية الرسول (صلوات الله عليه وعلى آله) ٥٨
ولاية الذين آمنوا ٥٩
التولي ليس مجرد انتماء مذهبي بل هو ارتباط عملي وسلوكي ٦٠
ما تحدث به النبي في علي لم يكن مجرد مدائح وإنما ليعزز له دورًا مستقبليًا في الأمة ٦٢
بقدر ما تتفاعل الأمة مع مبدأ الولاية بقدر ما ستكسب وتنتفع ٦٥
مبدأ الولاية يشكل الضمانة لحماية الأمة من أكبر عملية اختراق تعاني منها الأمة اليوم ٦٦
إحياؤنا لهذه المناسبة هو اقتداء بالرسول (صلى الله عليه وعلى آله) ٦٧
إيماننا بمبدأ الولاية هو إيمان بكمال الدين ٦٩
البديل عن ولاية الله التي قدمت في يوم الغدير هو ولاية اليهود والنصارى ٧١
هذه المناسبة العظيمة وما جرى فيها تقدم لنا الرؤية الصحيحة في ولاية الأمر ٧٤
حاجة الأمة اليوم إلى ثقافة يوم الولاية ٧٦
الأمة معنية أن تفهم ما الذي يمثله علي عليه السلام ٧٧
كيف ننظر إلى ولاية الإمام علي عليه السلام؟ ٧٩
الإمام علي منهج عملي وليس عنوانًا مذهبيًا! ٨٠
الشعر وتوثيق هذه المناسبة ٨١
شعراء وثقوا هذه المناسبة ٨١
١ـ حسان بن ثابت ٨١
٢ـ قيس بن سعد ٨٢
٣ـ عمرو بن العاص ٨٣
٤ـ السيد الحميري ٨٣
٥ـ أبو تمام الطائي (٢٣١هـ) ٨٥
٦ـ أبو فراس الحمداني ٨٦